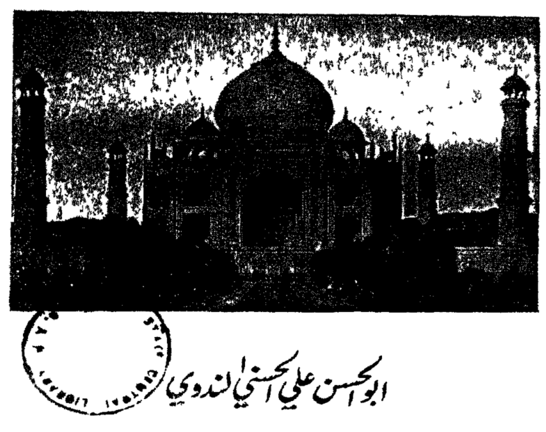
القراءة الراشدة

لتعليم اللغة العربية فى المدارس الاسلامية

الجزء الثالث



ابو الحسن علي الحسني الندوي

ملتزمة الطبع و النشر

مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ

الطبعة الخامسة ١٠٠٠ سنة ١٩٦٧ الثمن ٢٥ – ٣

القراءة الراشدة

لتعليم اللغــة العربيــة فى المــدارس الاسلاميـــة

الجزء الثـالث

تــأليف

ابو الحسن علي الحسني الندوي

يطلب الكتـاب من

مكتبة دار العلوم ندوة العلماء لكهنؤ

(الهنــد)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحياة فى مدينة الرسول ﷺ

ها هو ذا قد أسفر النهار و الناس راجعون من المسجد النبوى فى سكينة و وقار و لكن فى خفة و نشاط ، و هنا دكان يفتح فى السوق و هنالك سكة تمشى فى الحقل و هذا بستان من نخيل يسقى ، و ذلك أجير يشتغل فى حائط على أجرة يأخذها فى المساء ، قد اندفعوا إلى أشغالهم بما سمعوا من فضيلة كسب الحلال وطلب مرضاة الله بالمال، ترونهم خفاف الأيدى فى العمل ، ذلل اللسان بذكر الله عامرى القلوب بالحسبة و طلب الأجر ، يحتسبون فى أشغالهم ما لا يحتسب المصلى اليوم فى صلاته ، مقبلين بقلوبهم إلى الله و بقالبهم إلى شغلهم ، و ها هو ذا قد أذن المؤذن فاذا بهم ينفضون أيديهم مما كانوا فيه كأن لم يكن لهم به عهد ، و خف

إلى المسجد « رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكرالله و إقام الصلاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار . »

وها هو ذا قد قضوا صلاتهم و انتشروا فى الأرض يبتغون من فضل الله و يذكرون الله ، و قد مالت الشمس إلى الغروب فرجعوا إلى بيوتهم و قابلوا أهلهم و جلسوا إليهم يتحدثون معهم ، يلاطفونهم ويؤنسونهم طمعا فى أجر من الله و رضوان ، و ناموا بعد صلاة العشاء ، و إذا بهم قائمون أمام ربهم فى الأسحار ، لهم دوى كدوى النحل و فى صدورهم أزيز كأزيز المرجل ، وينصرفون بعد صلاة الصبح إلى أشغالهم فى نشاط الجندى و قوته كأن لم يتعبوا فى النهار و لم يسهروا فى الليل .

أنظروا إلى مجالس الذكر و العلم فى المسجد و قد ضمت صنوفا و أنواعا من الناس فهذا هو الفلاح الذى رأيته فى النهار فى حقله ، و هذا هو الأجير الذى رأيته ينزع الدلاء و يسق النخيل فى بستان يهودى ، و هذا هو التاجر الذى رأيته فى سوق المدينة يبيع ، و هذا هو الصناع الذى و جدته مشتغلا بصناعته . و ليسو الآن الا طلبة علم و قد

هجروا راحتهم — وهم فى حاجة إليها بعد شغل النهار — وتركوا أهلهم وهم فى حنين اليهم لأنهم سمعوا أن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما صنع ، ولأنهم سمعوا « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فى من عنده » تراهم ساكنين كأن على رؤسهم الطير ، خاشعين كأن الوحى ينزل « حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير » يتسابق العلم والخشوع فلا يدرى أيهما أسبق ، وتبتدر المعانى إلى القلوب والكلمات إلى الآذان فلا يدرى أيهما أسرع .

وقد اتفق كثير من الناس على التناوب فاذا غاب أحدهم عن مجلس الرسول حضر جاره أو أخوه فيخبر الأول بما دار فى المجلس من حديث وما نزل من آية ؛

وهؤلاء هم القراء قد انقطعوا الى العلم فاذا جنهم الليل انطلقوا الى معلم لهم فى المدينة فيدرسون الليل حتى يصبحوا ، فاذا أصبحوا فمن كانت له قوة استعذب من الماء وأصاب من الحطب ، ومن كانت عنده سعة اجتمعوا

فاشتروا الشاة و أصلحوها فيصبح دلك معلقا بحجر رسول الله ﷺ ؛

و ما من أحد فى المدينة الا ويعرف الحلال والحرام و ما يتعلق بحيانه و حرفته و شغله من الأحكام ، ويحفظ من القرآن ما يقوم فى صلانه ، ثم هو مستمر فى طلب العلم يزداد كل يوم فقها فى الأحكام و رسوخاً فى الدين و حرصا على العمل و شوقا إلى الآخرة و رغبة فى الثواب ، و علمهم بالفضائل أكثر من علمهم بالمسائل ، و بأصول الدين أكثر من علمهم بفروعه ، أبر الناس قلوبا و أعمقهم علما و أقلهم تكلفا ،

و إذا تعلم أحد منهم شيئا من الدين أسرع الى إخوانه يعلمهم لأنه سمع « ألا فليبلغ الشاهد الغائب' فرب مبلغ أوعى من سامع » و سمعوا نبيهم يقول « إنما بعثت معلما » و سمعوه يقول « لاحسد الا فى اثنين رجل أتاه الله ما لا فسلطه على هلكته و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضى بها و يعلمها » و هكذا انقسم المسلمون فى المدينة بين طالب ومعلم فاما طالب و إما معلم ، بل كل واحد منهم طالب

ومعلم فى وقت واحد يأخذ من مكان و يدفع إلى مكان ؛

هل عرف التاريخ مدرسة أوسع من هذه المدرسة النبوية التى يقرأ فيها التاجر و الفلاح و الأجير و الصناع و المحترف و المشغول و الشاب الناهض و الشيخ الفانى ؟ يتعلمون فيها بجميع قواهم ، فالأذن تسمع ، و العين تبصر و القلب يشعر و العقل يفكر و الجوارح تعمل ؛

عرفوا أحكام الاحتماع فى الاجتماع وأحكام الاختلاط فى الاختلاط و أحكام التجارة فى التجارة و أحكام المعاشرة فى المعاشرة فاستطاعوا أن يحافظوا على دينهم و نياتهم و خشوعهم و ذكرهم فى الجامع و المجالس و فى صخب الاسواق و فتنه البيوت ، فاذا خاضوا فى الحياة لم يغلبوا على أمرهم ، شأن الذى يتعلم السباحة فى بحر متلاطم و فى نهر فياض . فكانوا فى المسجد إذا خرجوا من المسجد و فى الصلاة إذا انصرفوا من الصلاة ، بررة القلوب ، صادقى الوعد ، سديدى القول فى فى المساجد و الأسواق معا ، و فى المعتكف و الحانوت معا ، و فى الحضر و السفر معا . و مع الصديق و العدو معا ؛

حتى إذا نادى منادى الجهاد « انفروا خفافاً و ثقالا وجاهدوا بأموالكم و أنفسكم فى سبيل الله » و هتف هاتف الجنة « و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السموات و الأرض » أقفل التاجر دكانه و ترك الفلاح سكته و رمى الصناع آلاته ، و ترك الأجير رشاء دلوه، و خرجوا فى سبيل الله لا يلوون على شئ كأنهم كانوا من ذلك على ميعاد ، و فى ديارهم .و أهلهم على مساحة و رخصة ؛

و ترونهم يتجولون فى البلاد و يسيحون فى الأرض كأنهم خلقوا على ظهور الخيل و ولدوا على متون الابل ، يعدرن غدوة أو روحة فى سبيل الله أفضل من الدنيا و ما فيها ، يصلون النهار بالليل و الشتاء بالصيف ، و هم أينما رحلوا و نزلوا مدارس سيارة و مساجد متنقلة ، و هكذا نشروا الدين من أقصى الأرض الى أقصاها و من شرقها إلى غربها ؛

(من رسالة « الى ممثلى البلاد الاسلامية »
للمؤلف)

ب

المنارة تتحدث

(١)

خرجت يوما من مدينة دهلى أروح نفسى من صخب الأسواق و عناء الأشغال ، و ذهبت إلى منارة قطب الدين خارج دهلى ؛

و رأيت هذه المنارة الشامخة فاذا هى آية فى الهندسة و البناء ، مبنية من الحجارة الصلبة الحمراء تنطق بعظمة القدماء ؛

و بينما أنا أدور حول هذه المنارة بين قبور و قصور و أفكر فى ضعف الانسان و قوة البنيان ، إذا صوت يرن فى أذنى و يقول « أيها الرجل اسمع »

و التفت فلم أر أحداً و سرحت طرفى فاذا المكان هادئ ليس هنا داع و لا مجيب ، و ليس هنا إلا الحجارة الصماء البكماء .

و إذا صوت يتردد « أيها الرجل اسمع » فأصغيت

إلى هـذا الصوت و قد دنوت من المنارة ، فرأيت عجبا ؛

رأيت عجبا إذ سمعت المنارة يتكلم ، فقلت لم أركاليوم حجارة تنطق ، و منارة تتحدث !

و إذا صوت أجهر و أوضح من قبل ، اسمع أيها الرجل و لا تخف . فقد أنطقنى الله الذى أنطق كل شئ ،

هنالك و قفت أستمع لهـذا الصوت فاذا المنارة ؛ تقول :

أنا واقفة هنا منذ أكثر من سبعـة قرون لم أبرح مكانى ساعة و لم أغمض عينى طرفة ، أشاهد تقلبات الزمان و تحول الملك و السلطان ، كأنى قطب يدور حولى رحى الحوادث ؛

و قـد رأيت فى هـذه المـدة من العجائب ما أضحكنى قليلا ، و من المحـزنات ما أبكانى طـويلا ، و لولا أن قلبى من حجر لانشق حزنا ؛

و لا أنكر أنى رأيت فى هذه المدة ملوكا عادلين ، و رجالا من العلماء و الصالحين ، قرت بهم عينى و زالت بهم أحزانى ؛

و ها أنا ذا أقص عليك خبرى ، و ما جرى فى هذه البلاد بين سمعى و بصرى ؛

سمعت أن السلطان محمود الغزنوى هو الذى فتح هده البلاد للاسلام و دوخها من الشمال إلى الجنوب و هزم الأحزاب و الجنود المجندة لملوك الهند فكان برهانا على أن الايمان يغلب العدد ، و ذلك فى فجر القرن الخامس الهجرى ؛

و بعد قرن و نصف غزا الهند السلطان شهاب الدين الغورى و هو الذى رسخت به قدم المسلمين فى هذه البلاد و قامت لهم دولة مستقلة ؛

و لكن الذى فتح هذه البلاد فى الحقيقة و أخضعها للاسلام هو الرجل الصالح الشيخ معين الدين الچشتى الذى اهتدى به إلى الاسلام ألوف من المشركين وكان دعاؤه سلاحا للغورى و جنة ؛

أنا أقول « سمعت » لأنى لم أكن فى تلك الأيام فأنا وليدة القرن السابع فقد بنانى قطب الدين منارة لجامع « قوة الاسلام » وتم بنائى على يد شمس الدين و بقيت فريدة منذ ولدت ؛

و من حسنات الاسلام أنه جعل العبيد سادة و المماليك ملوكا ؛ فقد خلف الغورى مملوكه قطب الدين و خلفه مملوكه شمس الدين ، و استمرت دولة المماليك ٨٧ سنة جاء فى خلالها ملوك يتجمل تاريخكم بهم كالقائد قطب الدين ايبك ، و الملك الصالح ناصر الدين محمود بن التمش ، و الملك العادل غياث الدين بلبن ؛

و فى عصر السلطان شمس الدين كان فى دهلى الشيخ الكبير قطب الدين بختيار الكعكى ، و طالما رأيت السلطان شمس الدين يدخل عليه فى الليل و يخدمه و يغمز رجليه و يبكى ؛

و انقرضت دولة سادتى المماليك ، و الأرض لله يورثها من يشاء ، و جاء الخلج و رأيت من غرائب الانسان ، عما كريما يقتله ابن أخيه و ختنه ؛

و لكن علاء الدين بعد ما قتل عمه جلال الدين ضبط البلاد ، و سن القوانين و عين الأسعار و بسط الأمن و أوغل فى الهند ؛

و قضى على الخلجيين بالزوال بعد ٣١ سنة ، سنة الله

فى الأرض ، و ورثهم آل تغلق ، و كان منهم ملك غريب الأخلاق أعنى محمــد تغلق ، الملك العاقل المجنــون الذى أراد ان يحول العاصمة إلى دولت آباد و لكن الله رحم و حشتى و لم يفلح الملك ؛

و خلفه شاب صالح من بيته اسمه فيروز الذى بنى المساجد و المدارس ؛ و أنشأ الشوارع و الرباطات ، ورد المظالم .

و فى هذا العهد كان العبد الصالح الشيخ نظام الدين البدايونى ، و كانت له زاوية عامرة يؤمها مآت من الطالبين فكانت إمارة روحية فى جنب إمارة مادية تفوقها فى السلطان على القلوب .

حكم آل تغلق ١٣٥ سنة ، مدة طويلة ؛ ثم طوى بساطهم — و الحكم لله — و آل الأمر إلى اللودهيين ، و كان أوسطهم سكندر اللودهى ، و كان عادلا فاضلا يحب العلم و العلماء

و فى هذا العهد ازدهرت مدينة جون پور و بلغت أوجها فى عهد ابراهيم شاه الشرقى (٨٠٤ ـ ٨٤٤) وكنت

أسمع أحاديث ملكها و أخبار علمائها كملك العلماء القاضى شهاب الدين الدولت آبادى و الشيخ أبى الفتح بن عبد المقتدر الدهلوى ، و قصص جوامعها و مدارسها .

و ازدهرت كذلك مدينة أحمد آباد و فاقت الهند بملوكها الراشدين و علمائها المحدثين و بصنائعها و كثرة جنانها و حدائقها و حسن نظامها ، و كنت أسمع أخبار محمود شاه و ابنه مظفر شاه الحليم (٨٦٢ - ٩٣٢) فكأنى أسمع أخبار رجال خير القرون .

المنارة تتحدث

(٢)

و فى عهد ابراهيم اللودهى سنة ٩٣٣ جاء بابر وهو من آل تيمور من كابل و كسر جنود اللودهى و هى مأة ألف مقاتل فى ساحة پانى پت باثنى عشر ألف مقاتل فكان برهانا على أن العزيمة تغلب الكثرة و أسس

دولة المغول التى لها دوى فى العالم و آثار خالدة فى الهنـــد .

و فى عهد ابنـــه همايون نهض شير شاه السورى فطارد همايون إلى إيران و أسس دولة منظمة لم تسبق ، و عمل أعمالا جليلة لو وزعت على عدة ملوك لوسعتهم فأنشأ شارعا مسيرته أربعة أشهر و غرس عليه الاشجار ، و بنى عليه المنازل و المساجد و ذلك كلـــه فى خمس سنوات؛ و لا أزال أغبط « سهسرام » إذ كانت عاصمته و مـــدفنه ، و هنا تخلفت دهلى و سبقتها مدينة صغيرة .

و خلف همايون الذى استرد ملكه بمساعـــدة شاه ايران ابنه الأمى أكبر .

و هو الذى مرق من الاسلام و اخترع دينا جديدا ، و عاند المسلمين ، و قد أنجانى الله من مصاحبته اذ اتخذ آكره عاصمته .

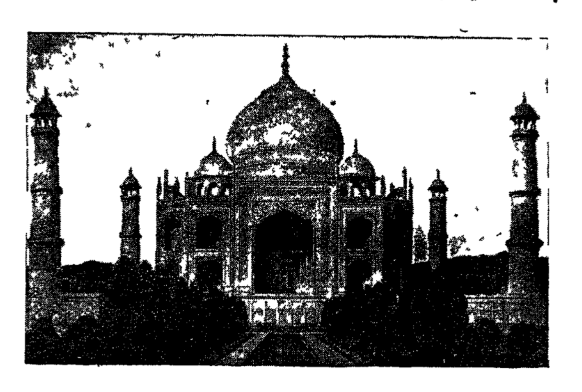
و خلفه ابنه جهانگير ، و كان أفضل من أبيه و دون ابنه و حفيده ، و اضمحلت آثار أكبر فى عهده .

و فى هذا العصر نهض المصلح الكبير الشيخ أحمد السرهندى المجـــدد (م١٠٣٤ﻫ) فقلب النيار ، و غير الله به الليل و النهار ، و انتصر به الدين ، و زالت به دولة المبتدعين .

و فى هذا العصر سعدت الهند أيضا بوجود عالم كبير خدم علم الحديث و صنف ، و درس طويلا و هو العلامة عبد الحق البخارى (م١٠٥٢ﻫ) و أنا سعيد بأنه لا يزال فى جوارى .

و خلف جهانكير إبنه شاه جهان ، و هو صاحب الآثار الجميلة فى الهند ، بنى جامعا فى دهلى من أجمل مساجد المسلمين فى العالم ، و بنى القلعة الحمراء و بنى على قبر زوجه التاج محل و هى الدرة اليتيمة فى البناء ، و ما وددت أن أبرح من مكانى إلا لأراه ، و خلف شاه جهان ابنه السلطان اورنك زيب عالمكير و هو رجل هذا البيت الرشيد ، فأمر بتدوين الفقه و أبطل المكوس و المظالم عن المسلمين و ضرب الجزية على المشركين و نصب المحتسبين و أقام دولة العلم و الدين .

و من سوء حظ المسلمين فى هذه البلاد أن خلفاء أورنگ زيب لم يكونوا رجالا أكفاء فى الدين و السياسة فأصبحت السياسة هزلا و الدولة ألعوبة ، ملوك يحكمون صباحا و يقتلون مساءاً و يستبدلون كالخلقان من الثياب .



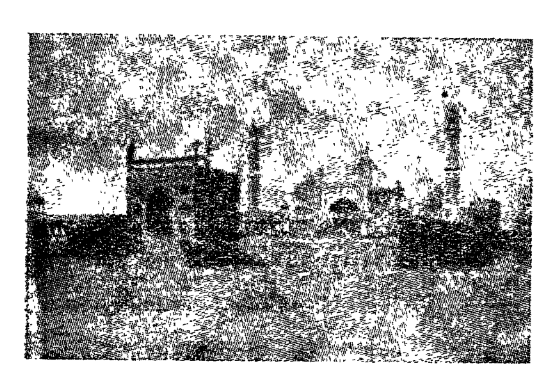
تاج محل

و لا أضيع و قتك الثمين فى سرد أسمائهم الفارغة ،

و هنا رأيت ماأبكانى ، فقد فسدت أخلاق المسلمين فى هذا العصر ، فشا فيهم الفجور ، و عمت الخمور و كثرت الملاهى و أقبل الناس على اللهو و اللعب

و الرقص و الغناء ، وكأن لم يبعث نبي و لم ينزل كتاب ؟
و النـاس فى جاهلية ،

و كنت أذكر قول الله تعالى « و إذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً . » و أخاف بطشه .



جامع شاهجهان فى دهلى

و فى عهد محمد شاه (م١١٦١هـ) بلغ السيل الزبى و طم الوادى على القرى ، فبعث الله على أهل دهلى عباداً له أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار .

جاء نادر شاه سنة ١١٥١هـ من إيران فوضع فيهم السيف ، و بلغ القتلى من الهنديين فى دهلى مأة الف و نيفا ، و سالت بدمائهم الشوارع ، و لم يغمد السيف الا بعد ثلاثــة أيام .

و لم يفق أهل دهلى و المسلمون من سكرتهم ، فاجتمع عليهم المرهتة و السكه إجتماع الأكلة على القصعة ، و فى كل يوم غارة و نهب ، و سلب ، و إهانة وجلاء ، فخربت قرى كثيرة ، و هدمت مساجد ذكر فيها اسم الله كثيرا ، و عجز المسلمون عن مقاومتهم و دخل فى قلوبهم الجبن و الخوف .

هنالك رحم الله هــذه الأمة الهندية فبعث لها أحمد شاه الأبدالى من أفغانستان سنة ١١٧٤هـ فنازل المرهتة فى ساحــة پانى پت ، و قتل منهم نحو مأتى ألف و هزمهم هزيمة لم تقم لهم بعدها قائمة .

و فى هذه الأيام العقيمة أنجبت دهلى رجلا عظيما و هو الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم ، فنادى بالمسلمين إلى الدين و انتقد الأمراء الجائرين و الشيوخ المبتدعين ؛ و خرج

العلماء الراسخين و الدعاة المخاصين ، و صنف الكتب البديعة في علوم الدين

و شمر هو و أبناؤه النجباء الشيخ عبد العزيز و الشيخ رفيع الدين و الشيخ عبد القادر و ابن ابنه الشيخ إسمعيل — دفين بالاكوت — عن ساق الجد فى خدمة الدين ، فمن مترجم للقرآن ، و من شارح للحديث ، و من فقيه يضرب إليه أكباد الابل ؛ و من مزك للنفوس ، و من مدرس للحديث الشريف ، و من مجاهد بالسيف وشهيد فى سبيل الله ، و من مهاجر إلى بيت الله ، و الهند تباهى بهذا البيت الشريف الأقطار الأخرى و تنشد

أولائك أبنائى فجئنى بمثلهم
إذا جمعتنا يا جرير المجامع

المنـارة تتحدث

(٣)

أراك يا سيدى قد سئمت حديثى و طول القيام هنـا فاصبر قليلا لعلى أحفف عن نفسى بعض ما أجـده من الحزن .

نسيت أن أذكر لك أن الانكليز قد دخلوا فى الهنـد فى القرن السادس عشر المسيحى تجاراً وأسسوا شركة تجاريه سموها الشركة الهندية الشرقية ، و كانت بذرة فساد اغفلها الملوك المسلمون فى بساطتهم و حسن ظنهم ، و بقيت هـذه الشركة تشتغل بالتجارة حتى اضطرب حبل الدولة المغولية ، فطمح رجالهـا إلى الملك و السياسة و صـاروا يتدخلون فى الأمور ، و يحرشون بين الأمراء و يضربون بعضهم ببعض ، و ينتهزون فرصة بعـد فرصة حتى أصبحوا قوة فى الهند .

و لم يزل أمر الانكليز يقوى و أمر الهنديين يضعف

حتى أخـــذوا فى الجنوب كرناتك و فى الشرق كلكته ، و ذلك كله بمال الهند و رجالها ، لم يبذلوا فى سبيل ذلك درهما و لا دماً من قبل أنفسهم .

و قـــد عنى بأمر الانكليز فتى شهم و هـو النواب سراج الدولة أمير مرشد آباد ، وكانت بينه و بين الانكليز و قعة فى بلاسى سنة ١١٧١هـ ـ ١٧٥٧م غدر فيهـا الوزير مير جعفر ، و انسل إلى الانكليز فانهزم سراج الدولة وانتقلت مقاطعة بنگال إلى الانكليز .

و اجتهد الأمراء مرة ثانية و اجتمع مير قاسم ختن مير جعفر أمير مرشد آباد ، و شاه عالم ملك دهلى والنواب شجـاع الدولة أمير أوده بجنودهم الكثيفة و قاتلوا الانكليز و هم أقل منهم عـددا ، و لكن أحسن منهم نظـاماً فانهزم الهنـــديون و انكسروا فى ساحـــة بكسر سنة ١١٧٨هـ ١٧٦٤م ، فكان برهانا على ان النظام يغلب الزحام ، وكانت للانكليز اليد العليـا و الكلمـة النـافـــذة ما بين كلكته و دهلى .

ثم قام الفتى الأبى الغيور السلطان ٹیپو أمير ميسور

و قاتل الانكليز قتالا شديدا ، و هزمه الانكليز بقوة المسلمين و المرهقة سنة ١٢١٤ه ١٧٩٩م و غدر الوزير مير صادق و انسل إلى الانكليز ، و مات السلطان الشهيد في ساحة القتال موت الأحرار الأبطال مدافعا عن دينه و وطنه .

و أراد الله أن يبتلى أهل الهند فمنحهم فرصة أخرى فنهضت عصابة من الشبان المخلصين يقودها فتى من أهل بيت الرسول ﷺ قد جاء من الشرق ، كنت أراه كثيرا فى مدرسة الشيخ عبد العزيز رحمة الله عليه و مسجد الشيخ عبد القادر و اشتهر سريعا باسم السيد أحمد و تهافت عليه الناس من كل جانب و بايعه محمد إسمعيل ابن أخى الشيخ عبد العزيز رحمة الله عليه ، و عبد الحى ختن الشيخ و عالم دهلى الكبير و العلماء و الصلحاء ، و طاف هؤلاء فى البلدان و القرى و بثوا دعوة الرجوع إلى الدين و التمسك بالكتاب و السنة ، و أشعلوا فى الصدور شعلة الجهاد ، و اجتمع حولهم أناس هم خير من وقعت عليهم عينى دينا و عبادة و خلقا

و معاشرة ، و غيرة و حماسة ، فكانوا بالليل رهبانا و بالنهار فرسانا و فى الدين أبدالا و فى القوة أبطالا .

و هاجر هؤلاء سنة ١٢٤١ إلى ثغور الهند و رفعوا راية الجهاد ضد السكه ، و بايع الناس إمامهم السيد أحمد ؛ و كانت الحرب بينهم و بين السكه سجالا ، و سمعت بعد قليل أنهم فتحوا أرضا واسعة و أسسوا إمارة على منهاج الخلافة الراشدة و نفذوا فيها أحكام الشرع ، و أقاموا الصلاة و آتوا الزكاة و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر ، و فتحوا بشاور عاصمة الثغور فعظم شأنهم و كاتبوا أمير بخارا و چترال و أمراء أفغانستان ، و كانوا يريدون أن يقيموا دولة شرعية مستقلة فى الهند .

كنت أسمع ذلك كله و الناس يفرحون و أنا أخاف لأنى لم أكن آمن عليهم من المسلمين الغدر و الخيانة ، و هما من أمراض المسلمين ، و لم تذهب دولتهم الا بغدر المسلمين و خيانتهم و نفاقهم — و سامحنى يا سيدى فى هذا العتاب المر فلى العذر — و كنت أخاف ذلك خاصة فى تلك البلاد ، و لم تمض يا سيدى أيام قليله

حتى وقع ما كنت أحذره ، فقد سمعت أنه غدر بهم الأمراء الأفغان و قتلوا نوابهم و عمالهم سجدا و قياما ، و سمعت أنهم الآن فى طريقهم إلى كشمير .

ثم سمعت بعد أيام أنهم دهمهم العدو فى وادى بالاكوث فى جبال هزارا ، و ذلك بدسيسة بعض المسلمين أيضاً — و قتل أكثرهم و لم ينج منهم إلا القليل ، و كانت هذه الحادثة الأليمة سنة ١٢٤٦هـ .

و هكذا ضاعت هذه الفرصة الثمينة و لله الأمر من قبل و من بعد .

و أعود إلى حديث الانكليز و أقول إنهم اختلقوا ذنوبا على الأمراء كما سمعت فى قصة الذئب و النعجة . و انتزعوا بنجاب و السنده ، و بورما و أوده و امتلكوها .

و انتبه الهنديون من سباتهم و اجتهدوا ان يتخلصوا من الانكليز سنة ١٨٥٧ م .

فكانت ثورة كبيرة و لكن فشلت ايضاً بسوء نظام الهنديين ، و رسخت قدم الانكليز و عاقبوا الهنديين عقابا شديدا ، و عذبوهم عذاباً أليما ، و فتكوا بالبيت الملكى فتكا

شديدا ، و أسروا بهادر شاه و نفوه إلى رنكون .

و من ذلك اليوم أفل نجم المسلمين فى هذه الديار و انحطوا فى الدنيا و الدين و رضوا بالذل و العبودية ، و فسدت الأخلاق و سقطت الهمم ، و ضاقت الأرزاق ، و غلت الأسعار ، و عمت المجاعات ، و عطلت المدارس ، و أقفرت الزوايا ، و أوحشت المساجد .

فى سنة ١٩٤٧م تحررت البلاد من الانكليز و وقعت إضطرابات هائلة . و هاجر كثير من المسلمين من بلادهم و قامت لهم دولة فى شمالى الهند الغربى ، و بقى سائرهم حولى فى الحكومة الهندية و قد فقدوا نشاطهم و استولى عليهم الياس .

و لست قانطا يا سيدى من رحمة الله « و هل يقنط من رحمة ربه إلا الضالون »

و لم أيئس من نهضة المسلمين ، فانى رأيتهم طول هذه المدة كالشمس إذا غربت فى جهة طلعت فى جهة أخرى ، و انهم لم يغب لهم نجم إلا و طلع لهم نجم آخر ، فان مستقبل العالم معقود بناصيتهم ، و أن الله لايحب

الفساد فى الأرض و لايرضى لعباده الكفر .

إقرأ على أمتك منى السلام ، و قل لها إنى أشهد الله أن هـذه الأمة ما أفلحت إلا بالتمسك بالدين و ما خسرت إلا بالغفلة عن الدين ، و لن يصلح آخر هـذه الأمة الا ، ما أصلح أولها ؛ هذا الذى شهدته و اختبرته فى هذه القرون المتطاولة « و لا ينبئك مثل خبير »

و لما انتهت المنارة من كلامها . انصرفت عنها و رجعت إلى مكانى وبت ليلتى افكر فى ما سمعت وبادرت فى الصباح فقيدت حديث المساء .

عمر بن الخطاب وأم البنين

لدى عمر أمير المؤمنينا قفوا بى وقفة المتهيبينا
مليك ذو مآثر باسقات يقصر عن مداها السابقونا
خوالد ما عفت قدماً ولكن يعطر نشر ذكراها القرونا
فمن يمدح لمكرمة فانى نظمت بمدحه عقدا ثمينا

و هاكم ماروى العباس عنه ... أراه باتتباهكم قمينا
يمثل صورة للبؤس فينا ... و يُملى عبرة للحا كمينا

يقول: لقد دعانى الملك وهناً ... فكنت له بجولته خدينا
أفزته محبته لشعب ... يعز عليه يوماً أن يهونا
سرى متنكراً و الليل قر ... إلى الأثلات يفتقد الشؤونا
يطوف فى الخيام عساه يلقى ... بمزوياتها رهطاً حزينا
فمر هناك بامرأة عجوز ... حواليها صغار يعولونا
و قدر أركزته على أثاف ... غلى عبثا لتعليل البنينا
تقول ـ ودأبها التنفيخ ـ صبراً ... بنى ، ستأكلون وتشبعونا
فظل الملك يمعن ناظريه ... بها حيناً و بالأولاد حينا
و طال وقوفه فى الحى حتى ... توجس أن يريب به الظنونا
يمينا ليس يبغى البين حتى ... يرى الأولاد قد ملأوا البطونا
و مازالوا كذلك بضع ساع ... تنفخ فى الوقود و يصرخونا
فعيل تصبرا ، و دنا إليها ... و حيا قائلا : ما تصنعينا ؟
ومالبنيك ينتحبون ؟ قالت : ... جياع ! قال: لم لم يأكلونا ؟
أجابت ـ و المحاجر دامعات ... أأطعم صبيتى الماء السخينا

فما فى القدر غير حصى وماء ... أحاول أنهم يتعللونا
لعلهم متى ملوا انتظارى ... و ساورهم نعاس يهجعونا !!
فقال لها : لقد أخطأت رأيا ... و أورثت الصغار ضنى وهونا
فلم لم تعرضى شكواك يوماً ... على عمر أميرالمؤمنينا ؟
إذن لكفاك مر العيش مما ... يجود ، و لم يكن عمر ضنينا
فقالت: لاسقت عمرالغوادى ... و نكس بنده فى العالمينا
لقد سمحت بظلمى مقلتاه ... و تحميلى الخصاصة و الأنينا !
فراع فؤاده ما تدعيه ... و قال لها : بربك أخبرينا
فقالت : قدأمال الطرف عنا ... و لم يعبأ بما قد حل فينا
أيغفل عن سوائمه مالك ... يسمى نفسه الراعى الأمينا ؟
عليه أن يفتش فى الرعايا ... و يرتاد المزارع و الحزونا !
عساه أن يرى مثلى عجوزا ... تبيت الليل تنتظر المنونا
فينعم من خزينته بشئ ... تعيل به بنيها المدنفينا
فكم عاف يمنعه حياء ! ... فلا يجرى مع المتسولينا
يكاد يموت من ظمأ وجوع ... و لا يبغى أكف المحسنينا
إذا ملك تغاضى عن ذويه ... فيحسب فى عداد الظالمينا

فقال لها : صدقت ، فعن قليل ... نعود بما تيسر ، فانظرينا

وسار وسرت محتذ يا خطاه ... كأن بنا إلى وطر حنينا !
أكر وراءه تحت الدياجى ... و تنبحنا الكلاب و تقتفينا
إلى بيت المؤنة حيث أمسى ... هنا لك ينبش الذخر الدفينا
وماهو غير لمح الطرف حتى ... حملت السمن واحتمل الطحينا
و عدنا و الدقيق عليه يذرى ... فعفر عارضيه و الجبينا
يكاد ينوء تحت الحمل لكن ... مشى طول المسافة مستكينا
كأنى إذ عرضت يدى عليه ... ضربت على صفاة لن تلينا
فقال : اصمت فما حملت عنى ... ذنوبى يوم يجزى المذنبونا
إلى الأولاد يا عباس سربى ... أمد لكشف كربتهم يمينا
أنأكل كل يوم كل لون ... وهم من جوعهم يتضورونا
ونسرح فى ربوع الأنس دوما ... و هم فى كوخهم يتململونا
و نرفد لا نبالى بالبلايا ... و هم لنبالها مستهدفونا
جفانى عند رؤيتهم رقادى ... و واصلنى صداع لن يبينا
وكدت أحس أن الأرض مادت ... و جوف الغمر أوشك يحتوينا
إلى الأولاد يا عباس أمحو ... خطاى و أغسل العار المبينا

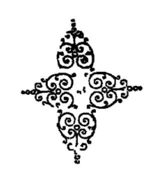
فويم الله ما القلل الرواسى كحمل ظلامــة المستضعفينا
فأزجينا الخطى فى المهل حتى طوينا منــه قاحلة شطونا
فأدركنا العجوز على قتاد وقد أغضت من التعب الجفونا
وجفت قدرها فوق الأثافى فكان ثمالها كدراً وطينا
فأفرغها ، و أفعمها دقيقا بيمناه ، و دس به السمونا
وكاد الوقد تحت القدر يخبو فأولج فى بقاياه غصونا
مكباً لا يثبطه دخان تناول منخريه و العيونا
يجيد الطبخ تحريكا و غليا كأنك تشهد الطاهى الفطينا
فأنضجه و نحن بجانبيه أبى إصراره أن يستعينا
وأسرع ـ والبشاشة مل‌ء فيه ـ بتلقيم الصغار الجائعينا
يتامى ما حنا أحد عليهم و لا عرفوا سواه أبا حنونا
ومال إلى العجوز فقال : مهلا أقلى اللوم و التزمى السكونا
سنذكر للأمير بلاك إنا إلى عرش الامارة منتمونا
كفاك كآبة وطوى وسهد فنامى مل‌ء جفنك و اصبحنا

و كان غد لدى عمر رهيباً عليها حيث أدركت اليقينا
لدى عمر ، وقد رشقت سهاما من التنديد بات بها طعينا

فيالك موقفا حرجا تمنت | لشدة روعها الا تكونا
و لكن مالها منه التفات | نفى عنها التأثر و الشجونا
فأجزل رفدها بعد اعتذار | و بدل شدة الأيام لينا
فراحت وهى تروى عنه عدلا | و إحسانا و فرط تقى و دينا

كذا كان الخليفة من قديم | مثالا للملوك الصالحينا

(الأستاذ جرجى نخله سعد)



الامام أبو حامد الغزالى

ولد أبو حامد محمد الغزالى بطوس سنة ٤٥٠ وكان والده يغزل الصوف و يبيعه فى دكانه بطوس ، و كان فقيرا صالحا لا يأكل إلا من كسب يده ، و يطوف على المتفقهة و يجالسهم و ينفق عليهم بما يمكنه ؛ و كان إذا سمع كلامهم بكى و تضرع و سأل الله أن يرزقه ابنا فقيها واعظا ، فاستجاب الله دعوته ، و لما حضرته الوفاة وصى به و بأخيه أحمد إلى صديق له من أهل الخير ، فلما مات أقبل الرجل على تعليمهما إلى أن فنى ذلك الذى كان خلفه لهما أبوهما . فقال لهما اعلما أنى قد أنفقت عليكما ما كان لكما و أنا رجل فقير لا مال لى ، فأرى أن تلجآ إلى مدرسة فانكما من طلبة العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما ، ففعلا ذلك و كان هو السبب فى سعادتهما و علو درجتهما .

قرأ الغزالى فى صباه طرفا من الفقه ببلده على أحمد

بن محمـد الراذكانى ثم سافر إلى جرجان إلى الامام أبى
نصر الاسماعيلى و علق عنه التعليقة ، ثم رجع إلى طوس ،
قال الغزالى : قطعت علينا الطريق و أخذ العيارون جميع
ما معى و مضوا فتبعتهم فالتفت إلى مقدمهم و قال ارجع
و يحك ، و إلا هلكت ، فقلت له أسألك بالذى ترجو السلامة
منه ان ترد على تعليقتى فقط فما هى بشئ تنفعون به
فقال لى و ما هى تعليقتك ؟ فقلت كتب فى تلك المخلاة
هاجرت لسماعها و كتابتها و معرفة علمها فضحك و قال
كيف تدعى أنك عرفت علمها و قد أخذناها منك فتجردت
من معرفتها و بقيت بلا علم ، ثم أمر بعض أصحابه فسلم
إلى المخلاة ، قال الغزالى هذا مستنطق أنطقه الله ليرشدنى
به فى أمرى ، فلما وافيت طوس أقبلت على الاشتغال ثلاث
سنين حتى حفظت جميع ما علقته ، و صرت بحيث لو قطع
على الطريق لم أتجرد من علمى .

و قدم الغزالى نيسابور و لازم إمام الحرمين و جد
و اجتهـد حتى برع فى المذهب و الخلاف و الجدل
و الأصلين و المنطق ، و قرأ الحكمة و الفلسفة و أحكم كل

ذلك ، و فهم كلام أرباب هذه العلوم و تصدى للرد عليهم و إبطال دعاويهم ، و صنف فى كل فن من هذه العلوم كتبا جليلة .

و لما مات إمام الحرمين خرج الغزالى إلى المعسكر قاصدا الوزير نظام الملك ، إذ كان مجلسه مجمع أهل العلم فناظر الأئمة العلماء فى مجلسه و قهر الخصوم وظهر كلامه عليهم و اعترفوا بفضله ، و تلقاه الصاحب بالتعظيم و التبجيل و ولاه تدريس مدرسة ببغداد و أمره بالتوجه اليها ، فقدم بغداد فى سنة ٤٨٤ و درس بالنظامية و اعجب الخلق حسن كلامه و كمال فضله و فصاحة لسانه و نكته الدقيقة و اشاراته اللطيفة و أحبوه ، و أقام على تدريس العلم و نشره بالتعليم و الفتيا و التصنيف مدة عظيم الجاه زائد الحشمة عالى الرتبة مسموع الكلمة مشهور الاسم ، وعلت حشمته و درجته فى بغداد حتى كانت تغلب حشمة الأكابر و الأمراء و دار الخلافة .

ثم تبرمت نفسه مما كان فيه من الجاه و كثرة الطلبة و الاقتدار على العلوم و تدريسها و اعتراه شك فى

العلوم وظهر له انه لا مطمع فى سعادة الآخرة إلا
بالتقوى و كف النفس عن الهوى ، و الاقبال على الله تعالى ،
و أن ذلك لا يتم إلا بالاعراض عن الجاه و المال ،
و فكر فى نفسه فاذا هو مقبل على علوم غير مهمة
و لا نافعة فى طريق الآخرة ، و تفكر فى نيته فاذا هى
غير خالصة لوجه الله تعالى ، فتيقن أنه على خطر ، و لم
يزل يفكر فى مفارقة بغدار و ترك التدريس قريباً من
ستة أشهر حتى غلب ذلك عليه و اعتقل لسانه عن
التدريس و أورث ذلك حزنا فى القلب بطل معه قوة
الهضم و تعدى إلى ضعف القوى حتى يئس منه الأطباء
و أشاروا عليه بالترويح ، و خف عليه الاعراض عن الجاه
و المال ففارق بغداد ، و فرق ما كان معه من المال و
لم يدخر إلا قدر الكفاف ، و حج البيت الحرام ثم دخل
الشام و أقام به قريبا من سنتين لا شغل له إلا العزلة
و الخلوة و الرياضة و المجاهدة ، اشتغالا بتزكية النفس و
تهذيب الاخلاق و تصفية القلب لذكر الله تعالى . ثم توجه
إلى بيت المقدس فجاور به مدة ثم عاد إلى دمشق

و اعتكف بالمنارة الغربية من الجامع ، و صنف التصانيف المشهورة لم يسبق إليها ، مثل إحياء علوم الدين ، و صادف دخوله يوما المدرسة الأمينية فوجد المدرس يقول « قال الغزالى » و هو يدرس من كلامه ، فخشى الغزالى على نفسه العجب . ففارق دمشق وأخذ يجول فى البلاد فدخل منها إلى مصر و توجه منها إلى الأسكندرية فأقام بها مدة ، و استمر يجول فى البلدان و يزور المشاهد ، و يروض نفسه و يجاهدها ، و استفاد من صحبة الشيخ أبى على الفارمدى و انكشفت عليه علوم و حكم ، و علت مداركه و عاد إلى الوطن و آثر العزلة .

و ألزم بالعود إلى نيسابور و التدريس بها فى المدرسة النظامية فأجاب إلى ذلك بعد تكرار المعاودات ، و درس مدة يسيرة و كل قلبه معلق بما فتح عليه من الطريق ، ثم رجع إلى مدينة طوس و اتخذ إلى جانب داره مدرسة للفقهاء و زاوية للصوفية و وزع أوقاته على وظائف من ختم القرآن و مجالسة أرباب القلوب و التدريس لطلبة العلم ، و إدامة الصلاة و الصيام و سائر العبادات . بحيث

لا تخلو لحظة من لحظاته و لحظات من معـــه عن فائدة .
إلى أن انتقل إلى رحمـة الله تعالى فى يوم الاثنين ١٤
جمادى الآخرة سنة ٥٠٥ هـ

قال أخوه أحمد لمـا كان يوم الاثنين وقت الصبح
توضـأ أخى أبو حامـــد و صلى و قال : على بالـكفن
فأخذه و قبله و وضعه على عينيه و قال سمعـــاً و طاعة
للدخول على الملك ، ثم مد رجليه و استقبل القبله و مات
قبل الاسفار .

و كانت خاتمة أمره إقباله على حديث الرسول ﷺ
و مجالسة اهله و مطالعة الصحيحين البخارى و مسلم ، و مات
كتاب الصحيح للبخارى على صدره .

كانــــ الغزالى رحمـه الله شديد الذكاء سديد النظر
عجيب الفطرة عالى الهمـــة مفرط الادراك ، قوى الحافظة
بعيـد الغور ، غواصـا على المعـانى الدقيقـة . منـاظراً قوى
الحجة .

بين والد جندى و ولد فقيه

خرج فروخ أبو عبد الرحمن في البعوث إلى خراسان أيام بنى أمية غازيا ، و ولده ربيعة حمل فى بطن أمه ، و خلف عند زوجته أم ربيعة ثلاثين الف دينار ، فقدم المدينة بعد سبع و عشرين سنة و هو راكب فرسا فى يده رمح ، فنزل عن فرسه ثم دفع الباب برمحه فخرج ربيعة ، فقال له يا عدو الله أتهجهم على منزلى ؟ فقال لا ، و قال فروخ يا عدو الله أنت رجل دخلت على حرمتى ، فتواثبا و تلبب كل واحد منهما بصاحبه ، حتى اجتمع الجيران ، فبلغ مالك بن أنس ، و المشيخة فأتوا يعينون ربيعة ، فجعل ربيعة يقول ، و الله لافارقتك إلا عند السلطان ، و جعل فروخ يقول : و الله لا فارقتك إلا بالسلطان ، و أنت مع امرأتى ، و كثر الضجيج ، فلما بصروا بمالك سكت الناس كلهم . فقال مالك : أيها الشيخ لك سعة فى غير هذه الدار ، فقال الشيخ هى

داری و أنا فروخ مولى بنى فلان فسمعت امرأته كلامه فخرجت فقالت : هذا زوجى ، و هـذا ابنى الذى خلفته و أنا حامل به ، فاعتنقنا جميعا و بكيا ، فـدخل فروخ المنزل و قال هذا ابنى ؟ قالت نعم ! قال فأخرجى المال الذى لى عندك ، و هذه معى أربعة آلاف دينار ، فقالت المال قد دفنته و أنا أخرجه بعد أيام .

فخرج ربيعة إلى المسجد و جلس فى حلقته . و أتاه مالك بن أنس ، و الحسن بن زيد ، و ابن أبى على اللهبى و المساحقى ، و أشراف أهل المدينه و أحدق الناس به ، فقالت امرأته أخرج صل فى مسجد الرسول ﷺ ، فخرج فصلى ، فنظر إلى حلقة وافرة ، فأتاه فوقف عليه ، ففرجوا له قليلا ، ونكس ربيعة رأسه يوهمه أنه لم يره ، وعليه طويلة ، فشك فيه أبو عبد الرحمن ، فقال من هـذا الرجل ؟ فقالوا له هـذا ربيعة بن أبى عبد الرحمن ، فقال أبو عبد الرحمن ، لقد رفع الله ابنى ، فرجع إلى منزله فقال لوالدته لقـد رأيت ولدك فى حالة ما رأيت أحـدا من أهل العلم و الفقه عليها ، فقالت

أمه . أيما أحب إليك ثلاثون ألف دينار ، أو هذا الذى هو فيه من الجاه ؟ قال لا و الله ، إلا هذا ، قالت فانى أنفقت المال كله عليه ، قال فو الله ما ضيعته .

(تاريخ بغداد للخطيب ، ج ٨ ص ٤٢١-٤٢٢)

فاكهة الهند

ان كنت تبغى أطيب اللذات
فعليك صاح بأنبه الثمرات
فى حسن مرأى فى نباهة سيرة
فى لطف ذات فى سمو صفات
ياحسن حمرتها و خضرتها و صفر
تها على الأشجار فى الروضات
و ترى ثماراً علقت فى غصنها
مختوم راح فى أكف سقاة

لم يختلف كمثالها الأثمـــار فى
الألوان و الأذواق و الهيئات

هذا ، و لا تحسبه صنفـــا واحدا
بل جملة الأصناف مخلفـــات

سبحان من بالفضل فضلها على
أشهى مـذوقات و مشمومات

بالجـامعيـــة فافت الأثمـار كا
لانسان فاق جميع حيوانات

جل القدير الفرد من فى ثمرة
بالصنع يجمع سائر الثمرات

و إذا تجلى فى الغصون رأيتـــه
دانى الصفات بعيد موصوفات

لله در بهائهـــــا و وفائهـــا
من غصنها تنفك بالعبرات

للمرء فيـــه منتهى حا جا ته
تغنيــــه عن ماء و عن أقوات

و إذا دعاك الله صاح فواته
و تمتعن به قبيل فوات

فاذا انقضت أيامه كالبرق لا
يجـــديك حينئذ سوى الحسرات
لا غرو إن قصرت مداها إن أيا
م السرور تمـــر كالسـاعات
يا صاح ما هذا الجمود فقم بنا
نخرج إلى الأنهار والدوحات
فالغيم تبكى مثل صب هائم
و البرق يضحك نحو مبتسمات
و الورق يصفق باتفاق غصونها
و الطير يسجع باختلاف لغـات
أو ما ترى الماء المبارك كيف أ
نبت سائر الأزهـار و الحبـات
فدع التنسك ساعـــة بخلاعة
نقضى فرائض هـذه الأوقات
نلهو و نترامى الثمار وجههـا
و قشورها ببـــدائع الحـركات

نفرى شرور الدهـر عنـا يومنا
بترنم يحيى العظـام رفات
و لئن يلمك اللائمون فقل لهم
الاضطرار يبيح محظـورات
(الشيخ ذو الفقار على الديوبنـدى)

حديث القمر

(٢)

كانت السماء مصحية لا غيم فيهـا . و الليـلة مقمرة ، و كان هشام يطالع القمر كأنما يطالع فى كتاب .

و كان أبوه يرى ذلك فى الليـالى المقمرة فأراد أن لا يضيع هذا النظر و لا يخلو من درس .

قال الوالد يا هشـام أراك تنظر إلى القمر طويلا كأنك تتمتع بمنظره .

هشام : ـــ نعم يا أبى إن منظره جميل جدا لا أكاد

أملأ عينى منه ، و لو قدرت لصعدت إليه بسلم .

الوالد :ــ و كم تقدر بعده يا هشام و أى سلم أو منارة تراها تكفيك للصعود إلى القمر .

هشام :ــ إنى لم أر يا أبى سلما رفيعاً جداً ، و لكنى أقدر إذا كانت هنالك منارة ارتفاعها ضعف منارة قطب الدين فى دهلى لأمكن الصعود إلى القمر .

الوالد :ــ و كم ارتفاع منارة قطب الدين يا هشام

هشام :ــ سمعت أن ارتفاعها مائتان و إثنتان و أربعون قدما أو ثمانون ذراعا . و ذلك ارتفاع كبير .

الوالد :ــ سبحان الله إنك ولد بسيط ، ان القمر يا ولدى يبعد من الأرض مأتى ألف و خمسين ألف ميل و هو أقرب الكواكب إلى الأرض .

هشام :ــ ففى كم مدة يصل الانسان إلى القمر إذا سافر إليه ؟

الوالد :ــ إذا سافر الانسان إلى القمر فى قطار يسير خمسين ميلا فى ساعة فانه يصل إلى القمر فى نحو سبعة أشهر .

و إذا كانت الطائرة تطير خمس مأة ميل فى ساعة فالانسان يصل إلى القمر بالطائرة فى يومين و عشرين ساعة .

هشام : — يا سبحان الله ! و سمعتك يا أبى تقول إن القمر أقرب الكواكب إلى الأرض فهل القمر كوكب ؟

الوالد : — نعم يا ولدى القمر و الشمس و الأرض و النجوم كلها كواكب ، منها القريب و منها البعيد ، و منها الصغير و منها الكبير .

هشام : — شئ غريب ، فهل الشمس أقرب الكواكب إلى الأرض و لذلك نورها ساطع و قوى جداً ؟

الوالد : — لا يا ولدى الشمس تبعد من الأرض مقدار تسعين مليونا و ثلاثة ملائين ، فالانسان يصل إلى الشمس فى ذلك القطار فى مأتى عام و عشرة أعوام .

هشام : — الله أكبر ، و لأى شئ هى ساطعة واضحة جداً ؟

الوالد : — لأنها أكبر من الأرض مليون و ثلاث

مـأة ألف مرة ، و لولا هـذا البعد الشاسع لكانت
اسطع و أوضح .
هشام : — و هل هــذه النجوم التى نراها كالنقط صغيرة
جداً .
الوالد : — لا يا ولدى إن بعض النجـوم أكـبر من
الشمس بكثير ، و لـكنها أبعد عنها كذلك بكثير ، حتى
إن بعضها لا يرى إلا بالمكبرة .

حديث القمر

(١)

هشـام : — و كـيف النـاس فى عالم القمـر ، و كيف
دياناتهم و أخلاقهم ، و كيف المساجـد و المدارس ؟
و هل فى المدارس إختبـار سنوى ، و كتب صعبة
و معلمون غلاظ ؟
الوالد : — إنك لسئول و حـديث ، و هل إذا أخبرتك

بأن عالم القمر ليس فيه مدارس أو هنالك مدارس
و لكن ليس فيها اختبار و امتحان ، و المعلمون
كلهم رحمة و شفقة لا يعاقبون و لا يغضبون
فهل تهاجر من الأرض إلى القمر ؟

هشام :ـــ نعم يا أبى إذا هاجرت معى و هاجرت معنا
أمنا و أسرتنا ، و لكنى أعدك بأنى أقرأ
هنالك .

الوالد :ـــ يؤسفك أن القمر ليس فيه عمران و لايوجد
فيه السكان بل هو قاع صفصف لأن البرد هنالك
شديد لا يطيقه الانسان .

هذا ما وصل إليه الانسان و انتهى إليه علمه
إلى هذا الوقت و من يدرى لعله يثبت خلاف
ذلك غدا فان علم الانسان ناقص . و هو كالكوب
السيار يتحول و يتغير ،

فقد نقض العلم الحديث العلم القديم و من
يقدر أن يقول إنه لا ينقض هذا الحديث أحدث
منه و أحكم منه ، فالآلات تتحسن و ترتقى والانسان

فى اكتشاف و اختبار .

فبالأمس كان الناس يعتقدون أن الشمس تدور جول الأرض و أن الأرض ساكنة مسطحة ، و يستدلون على ذلك بكل شئ ، ثم أثبتوا بالدلائل و الاختبار أن الأرض مستديرة كروية الشكل تدور حول الشمس ، و إذا خالف ذلك إنسان رأى إليه الناس شزرا ، و ظنوا أنه من رجال القرون الماضية .

حديث القمر

(٣)

هشام : — و من أين هذا النور يا أبى و هل هنالك قمر آخر ؟

الوالد : — هذا النور عارية من الشمس ، فان نور الشمس ينعكس فى القمر فيستنير كما ينعكس نور

المصباح فتستنير المرآة

هشام :ــ و ما هو الخسوف يا أبي ؟ فقــد رأيت القمر ليلة الجمعة مخسوفا . و رأيت النـاس يتصدقون و يصلون .

الوالد :ــ القمر يدور حول الأرض و ....

هشام :ــ و هل القمر أصغر من الأرض ؟

الوالد :ــ نعم ، الأرض أكبر من القمر خمسين مرة . فالقمر يدور حـول الأرض ، و الأرض كما علمت تدور مع القمر حول الشمس فاذا حالت الأرض بين القمر و الشمس أصبحت حجابا للقمر و انقطع عنه نور الشمس و أظلم القمر ، فاذا حجبت الأرض جرم القمر كلــه احتجب القمر كله ، و إذا حجبت بعض جرمه احتجب و أظلم هذ الجزء فقط !

هشام :ــ لم أفهم ذلك جيداً يا أبي !

الوالد :ــ أنظر هذا مصباح منير ، و هذه مرآة مصقولة و قد أشرقت المرآة بنور المصباح أليس كذلك يا عزيزى ؟

هشام : — بلى يا سيدى !

الوالد : — و لماذا أظلمت هذه المرآة الآن و أين ذهب النور المنعكس فيها ؟

هشام : — لأنك وقفت بينهما فحجبت النور عن المرآة ، و المرآة المسكينة ليس نورها فيها بل يأتيها من المصباح .

الوالد : — صدقت يا ولدى ، و كذلك القمر مع الشمس لا يزال مستنيراً بنورها حتى يحول بينهما حائل ، و الحائل هو الأرض فقط .

هشام : — و لماذا لا تحول الأرض دائما بين الشمس و القمر و لماذا لا ينخسف القمر دائما ؟

الوالد : — أحسنت السؤال ، و ذلك لأن القمر يتزحزح قليلا عن مكانه فى الدوران فلا تجتمع الشمس و القمر و الأرض على خط واحد إلا فى النادر ، و إذن ينخسف القمر أو تنكسف الشمس .

هشام : — و لا بد أن الشمس تنكسف إذا حال القمر بين الشمس والأرض فيحجب نور الشمس عن الأرض

بطبيعة الحال .

الوالد : — إنك لولد فطن ، و قد أصبت فى القياس .

هشام : — و ماذا ينبغىْ لنا أن نعمل عند الكسوف و الخسوف .

الوالد : — كان الناس فى قديم الزمان يعتقدون أن الشمس و القمر إنما ينكسفان لحادثة مهمة فى الأرض لموت رجل جليل مثلا ، و مات إبراهيم بن محمد عليه السلام فانكسفت الشمس فقالوا انما انكسفت الشمس لموت ابن الرسول ، فقام رسول الله ﷺ يجر رداءه حتى دخل المسجد فدخل المسلمون فصلى بهم ركعتين حتى انجلت الشمس فقال « إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد و لا لحياته فاذا رأيتموها فصلوا و ادعوا حتى يكشف ما بكم »

و قال « إنهما آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد و لا لحياته فاذا رأيتموها فافزعوا إلى الصلاة » .

السلطان مظفر الحليم الـكجراتى

(١)

السلطان الفاضل العادل السلطان مظفر المحدث الفقيه مظفر بن محمود بن محمد بن أحمد بن محمد بن مظفر الـكجراتى ، أبو النصر شمس الدين مظفر شاه الحليم صاحب الرياستين ، ولد يوم الخميس لعشر بقين من شوال سنة خمس و سبعين و ثمان مأة بأرض گجرات ، و نشأ فى عهد السلطة و رضع من لبان العلم و تنبل فى أيام أبيه ، و قرأ على مجد الدين محمد بن محمد الأيجى العلامة و على غيره من العلماء ، و أخذ الحديث عنه و عن الشيخ المحدث جمال الدين محمد بن عمر بن المبارك الحميرى الحضرمى الشهير بيحرق ، و تدرب فى الفنون الحربية حتى فاق أسلافه فى العلم و الأدب و فى كثير من الفعال الحميدة . و قام بالملك بعد والده يوم الثلثاء ثالث شهر رمضان سنة ٩١٧ من الهجرة ،

و افتتح أمره بالعدل و السخاء و النجدة و الجهاد و سد الثغور و إكرام العلماء .

و كان غاية فى التقوى و العزيمة و العفو و التسامح عن الناس و لذلك لقبوه بالسلطان الحليم ، و كان جيد القريحة سليم الطبع ، حسن المحاضرة عارفا بالموسيقى ، مشاركا فى أكثر العلوم و الفنون ، ماهراً فى الفنون الحربية من من الرمى و الضرب بالسيف و الطعن بالرماح والفروسية و المصارعة ، خطاطاً جيد الخط ، كان يكتب النسخ و الثلث و الرقاع بكمال الجودة ، و كان يكتب القرآن الحكيم بيده ثم يبعثه إلى الحرمين الشريفين ، و حفظ القرآن فى حياة والده فى أيام الشباب .

و كان يقتفى آثار السنة السنية فى كل قول و فعل ، و يعمل بنصوص الأحاديث النبوية ، و ربما يذكر الموت و يبكى ، و يكرم العلماء و يبالغ فى تعظيمهم ، و كان لا يحسن الظن بمشائخ عصره فى بداية حاله ثم مال اليهم .

ولم يزل يحافظ على الوضوء و يصلى بالجماعة ويصوم

رمضان و لم يقرب الخمر قط ، و لم يقع فى عرض أحد ، و كان يعفو و يسامح عن الخطائين ، و يجتنب الاسراف و التبذير و بذل الأموال الطائلة على غير أهلها .

و كان كثير التفحص عن أخبار الناس عظيم التجسس عن أخبار الممالك و ربما يغير زيه و لباسه و يخرج من قصره آناء الليل و النهار و يطلع على الأخبار و يستكشف الأسرار .

قال الآصفى : إنه و صل اليه يوما من القاضى بجانپانير رسول الطلب و قد تظلم منه تاجر خيل فكما بلغه و على ما كان عليه فى حال الخلق أجاب الرسول و خرج ماشياً إلى مجلس القاضى ، و جلس مع خصمه بين يديه ، و ادعى التاجر عليه أنه لم يصله ثمن أفراسه وثبت ذلك ، و أبى التاجر أن يقوم من مجلسه قبل أداء الثمن ، و حكم القاضى به فمكث السلطان مع خصمه إلى قبض التاجر الثمن ، و كان القاضى لما حضر السلطان فى المحكمة و سلم عليه لم يتحرك من مجلسه ، و ما كفاه ذلك حتى إنه أمره أن لا يترفع على خصمه و يجلس معه ،

و السلطان لا يخرج عن حكمه ، و لما قبض التاجر الثمن وسأله القاضى هل بقيت لك دعوى عليه و قال لا ، عند ذلك قام القاضى من مجلسه و سلم على عادته فيه و نكس رأسه فى ما يعتذر به ، فقام السلطان من مجلسه مع الخصم و أخذ بيد القاضى ، و أجلسه فى مجلس حكمه كما كان ، و جلس إلى جنبه وشكره على عدم مداهنته فى الحق حتى إنه قال لو عدلت عن سيرتك هذه رعاية لى لانتصفت للعدالة منك و أنزلتك منزلة آحاد الناس لئلا يأتى بعدك غيرك بما أتيت فجزاك الله عنى خيراً بوقوفك مع الحق فمثلك يكون قاضيا . فأثنى عليه القاضى و قال مثلك يكون سلطانا .

قال الآصفى و من بره المستفيض لأهل الحرمين الشريفين أنه نجر مركبا و شحنه بالقماش الثمين و أرسله إلى ميناء الحجاز جدة و جعله و ما فيه صلة لهم ، و له بمكة المشرفة رباط يشتمل على مدرسة و سبيل و عمارة غيرها ، و عين وقفا يتجهز محصوله إلى مكة فى كل موسم للمدرسين بمدرسته و الطلبة و سكنة الخلاوى و الخدم

و ما فى معناه ، و يتجهز سواه لأهل الحرمين و كان ذلك مستمراً فى أيامه .

و من مآثره الحسنة بالحرمين مصحفان بخطه المنسوب ، كتبهما بقلم الثلث المجرد بماء الذهب ، و إمام الحنفية مخصوص بالقراءة فيهما ، و ربعتان أيضاً بخطه كذلك . و للمصحفين و الربعتين و قف مخصوص يتجهز كل عام إلى الحرمين الشريفين لقارئ المصحف و قراء الأجزاء و شيخ الربعة و مفرقها و الحافظ لها و الداعى له عند الختم و السقاء فى الوقت و النقيب و الفراش ، و قد رأيت ذلك و كان مستمرا إلى شهادة السلطان محمود .

السلطان مظفر الحليم الگجراتى

(٢)

و من نوادر فعاله أنه لما تغلب مدنى راى على بلاد مالوه و ضيق على المسلمين و خرج محمود شاه الخلجى

صاحب مالوه من بلاده هاربا عنـــه إلى كجرات ، نهض
السلطان مظفر الحليم من بلاده إلى مالوه سنة ثلاث و
عشرين و تسعمائه بعساكره ، فوصل إلى « دهـار » ثم إلى
« مندو » و نزل على القلعة و شرع فى المحـاصرة ، و أما
مدنى راى فانه لمـا بلغـــه نزول السلطان « بديوله » قال
لأصحابه قرب منـا المظفر و لا سبيل إلى الحرب إلا إذا
حضر « رانا سانكا » صاحب چتور فاكفونى أتم القلعـــة
و أنا أسير إليه وأصل به ، و على هـــذا ودعهم و عزم
لطلبه ، فلما نزل السلطان على القاعة خرج يوما فيه نخبـــة
من رجال القلعة على أن يشتكبوا بالمسلمين ، و كانوا حذرين
فشدوا عليهم وقتلوا منهم كثيرا و هرب الباقون وتركوا
السيف و اعتمدوا الخـديعة فطلبوا الأمان لتسليم القلعـة
و ترددوا فيه أياما ، ثم سألوا الأمان لأموالهم ، فلما أجيبوا
طلبوا المهلة للجمعة ثم سألوا التباعد عن القلعة ليـأمنوا
فى الخروج ، فلما فعل ذلك بلغه وصول « رانا سانكا »
إلى « أجين » فغضب السلطان و ركب على ربوة مرتفعـــة

هناك و جلس عليها ، و أما الأمراء فكل منهم فى سلاحه
الكامل فى ظل علمه واقف تحت الربوة ، فطلب من بينهم
عادل خان الفاروقى صاحب برهان پور و قلده إمارة
العسكر المجهز لحرب صاحب چتور ، و خلع عليه و قلده
سيفا و حياصة و مجنا و تسعة من الخيل و حلقة من
الأفيال ، و أوصاه و ودعه ، و كذلك طلب فتح خان
صاحب رادهن پور و أعطاه مثله ، و كذلك طلب قوام
خان ثم أوصاهما بعادل خان و ودعهما ، ثم استدعى
عسكر هؤلاء و وعدهم جميلا و خص وجوه العسكر
بالأقبية و أمر بسائرهم بالتنبل على عادة الهند فى الرخصة
لهم ، و نهض إلى منزله الأول و جد فى أسباب الفتح
و دخل القلعة عنوة فى ثانى يوم نزوله ، و عمل السيف
فيهم ، و كان آخر أمرهم أنهم دخلوا مساكنهم و غلقوا
الأبواب و أشعلوها نارا فاحترقوا و أهليهم ، و السلطان
تحت المظلة و هكذا محمود و هما يسيران رويدا رويدا
و الدماء تسيل كالعين الجارية فى سكك القلعة من كل
جانب إلى مخارج الماء منها ، و بلغ عدد القتلى من الكفرة

تسعة عشر الفاً سوى من غلق بابه و احترق و سوى أتباعهم ، فلما و صل السلطان إلى دار سلطنة الخلجى التفت إليه و هنأه بالفتح و بارك له فى الملك و أشار بيده المباركة إلى الباب ، و قال له بسم الله ادخلوها بسلام آمنين ، و عطف عنانه خارجا من القلعة إلى القباب و دخل الخلجى منزله و اجتمع بأولاده و أهله ، و سجد شكراً لله سبحانه ، فلما بلغ مدنى راى شهق شهقة و غشى عليه و سمع رانا سانكا بعادل خان و قرب من أجين فاضطرب و قال لمدنى راى ما هذه الشهقة قد قضى الأمر ، فان عزمت على أن تلحق بأصحابك فها عادل خان يسمع نفيره ، و إلا فادرك نفسك ، ثم أمر به فحمل على فيل و خرج من أجين إلى جهاته خائبا ، و تبعه عادل خان إلى ديبال پور و توقف بها حتى جاءه الطلب .

ثم إن الخلجى تفقد ذخائره و هيأ الضيافة و نزل إلى مظفر شاه السلطان و سأله التشريف بالطلوع فأجابه ، فلما فرغ من الضيافة دخل به فى العمارات التى كانت من آثار أبيه و جده فأعجب بها و ترحم عليهم ، ثم جلسا فى جانب

منه و شكره الخلجى و قال : الحمد لله الذى أرانى بهمتك
ما كنت أتمناه بأعدائى و لم يبق لى الآن إرب فى شئ
من الدنيا ، و السلطان أولى بالملك منى و ما كان له
فهو لى ، فأسألك قبول ذلك و للسلطان أن يقيم به من
شاء ، فالتفت السلطان إليه و قال له إن أول خطوة
خطوتها إلى هذه الجهة كانت لله تعالى ، و الثانية كانت
لنصرتك و قد نلتها فالله يبارك لك فيه و يعينك عليه ،
فقال الخلجى حلا الملك من الرجال فأخشى ضياعه ،
فأجابه مظفر شاه الحليم و قال له أما هذا فقبول
سيكون آصف خان معك باثنى عشر ألف فارس إلى أن
يجتمع رجالك ، فطلب الخلجى أن يكون عنده ولده تاج
خان و ألح عليه فأجابه إلى ذلك ، و وعده بالنصر فى
جميع الأوقات ، و قال لآصف خان مالك و لأصحابك
كافة من الجراية و الولاية عندى فهى على حالها إلى أن
ترجعوا إلى منازلكم ، و ما يعطيكم الخلجى فهو مضاف إليه
للتوسع فى الوقت ، و أمر للخلجى بخزانة ثم ودعه
و نزل :

و قيل إن مظفر شاه لما فتح القلعة و دخلها سأله أركان دولته أن يستأثر بها فالتفت إلى الخلجى وقال له: احفظ باب القلعة برجال لايدعوا أحداً يدخلها بعد حتى من ينتسب إلى ، فطلب الخلجى أن يمكث أياما فأبى و نزل ، ثم بعد ثلاث أضافه الخلجى و دار به فى المبانى التى لا يعرف لها نظير فى الهند ، و انتهى إلى بناء بابه مغلق فاستفتحه و دخل إلى حجر هنالك فأمر الطواشية بفتحها و استدعاء من فيها فاذا بنساء برزن فى حلى وحلل قل أن رأت العين مثلهن ، و بأيديهن أصناف الجواهر ، و ما منهن إلا من سلمت و نثرت ما بأيديها على قدم السلطان فأشار بأن يحتجبن لأن النظر إلى الأجنبية لا يحل ، فقال الخلجى كلهن ملكى و أنا مالك و العبد و ما ملك لمولاه فدعاله و عاد إلى قبابه .

فلما نهض للسير راجعا نزل الخلجى و معه تاج خان و آصف خان و شيعه إلى حده و سأله الدعاء و رجع ، و رخص السلطان لعادل خان فرجع إلى برهان پور و وصل السلطان بالفتح و الدعاء إلى جانپانير ، و كان

يوم دخوله مشهوداً كثر فيه الدعاء له من سائر عباد الله تعالى .

و كان فتح مندو فى ثانى عشر من صفر سنة أربع و عشرين و تسع مأة ، و هو من نوادر الوقائع لا يذكر مثله لأحد من ملوك الهند و سلاطينها بل سلاطين غيرها من البلاد .

و أعجب من ذلك أن هـذا الخلجى و أسلافـه كانوا من أعداء دولتهم ، فان جده محمود شاه الخلجى الكبير كان سامحه الله يصول عليهم مرة بعد أخرى و فى كل مرة يخسر و يخيب فى أمله ، و أبوه غياث الدين الخلجى خرج إلى گجرات لنصرة كفار الهند على محمود شاه الگجراتى الكبير ، و كذلك جده فى أيام محمد شاه الگجراتى سامحهما الله تعالى و لله در من قال :

هيهات لا ياتى الزمان بمثله
إن الزمان بمثله لبخيل

السلطان مظفر الحليم الگجراتى

(٣)

قال الآصفى و فى سنة إحـــدى و ثلاثين و تسع مأة خرج السلطان إلى مصلى العيد للاستسقاء و تصدق و تفقد ذوى الحاجـــة على طبقـاتهم و سألهم الدعاء، ثم يقدم للصلاة و كان آخر ما دعا به كما يقال : اللهم إنى عبـــدك و لا أملك لنفسى شيئا فان تلك ذنوبى حبست القطرفها ناصيتى بيـدك فأغثنا يا أرحم الراحمين، قال هـذا و وضع جبهته على الأرض و استمر ساجدا يكرر قوله يا أرحم الراحمين، فما رفع رأسه إلا وهاجت ريح و نشأت سحابة ببرق و رعد و مطر، ثم سجـــد لله شكرا و رجع من صلاته بدعاء الخلق له و هو يتصدق و ينفح بيـــده بالمـال يميناً و شمالا .

و بعـد الاستسقـاء بقليل اعتراه الكسل ثم ضعف المعدة . . . . و فى خلال ذلك عقـــد مجلسا حفلا

بسادة الأمة و مشائخ الدين و صوفية اليقين ، و اجتمع بهم
و تذاكروا فی ما يصلح بلاغا للآخرة ، إلى أن تسلسل
الحديث فی رحمة الله سبحانه و ما اقتضاه منه و إحسانه ،
فأخذ يشرح ما من الله عليه من حسنة و نعمة و يعترف
بعجز شكرها إلى أن قال : و ما من حديث رويته عن
أستاذی المسند العالی مجد الدين بروايته له عن مشائخه
إلا و أحفظه و أسنده و اعرف لراويه نسبته و ثقته
و أوائل حاله إلى و فاته ، و ما من آية إلا و من الله على
بحفظها و فهم تأويلها و أسباب نزولها و علم قراءتها ، وأما
الفقه فاستحضر منه ما أرجو به منهوم « من يرد الله به
خيراً يفقهه فی الدين » و لی مدة أشهر أصرف وقتی
باستعمال ما عليه الصوفية و أشتغل بما سنه المشائخ لتزكية
الأنفاس عملا بما قيل : من تشبه بقوم فهو منهم ، و ها
أنا أطمع فی شمول بركاتهم متعللا بعسى و لعل ، وكنت
شرعت بقراءة معالم التنزيل و قد قاربت إتمامه إلا أنی
أرجو أن أختمه فی الجنة إن شاء الله تعالى ، فلا تنسونی
من صالح دعائكم ، فانی أجد أعضائی فقدت قواها ، فدعا

له الحاضرون بالبركة فى العمر .

قال و فى سنة ٩٣٢ ﻫ على خروجه من جانپانير ظهرت منه مخائل المستودع بفراق الأبد لها و لأهلها ، و أكثر من أعمال البر فيها و فى طريقه إلى أحمد آباد ، و لما نزل بها كان يكثر من التردد ، إلى قبور الصالحين و يكثر من الخير بها ، وكان له حسن ظن بالعلامة خرم خان فقال له يوما نظرت فى ما أوثر به أولى الاستحقاق من الانفاق فاذا أنا بين إفراط فى صرف بيت المال و تفريط فى منع أهله ، فلم أدر إذا سئلت عن ذلك بماذا أجيب ؟

و فى آخر أيامه وكان يوم الجمعة قام إلى القصر و اضطجع إلى أن زالت الشمس فاستدعى بالماء و توضأ و صلى ركعتى الوضوء ، و قام من مصلاه إلى بيت الحرم و اجتمعت النسوة عليه آئسات باكيات يندبن أنفسهن حزنا على فراق لا اجتماع بعده ، فأمرهن بالصبر المؤذن بالأجر ، و فرق عليهن مالا ثم ودعهن و استودعهن الله سبحانه و خرج و جلس ساعة ثم استدنى منه راجه

محمد حسين المخاطب بأشجع الملك ، و قال له قد رفع ا
قدرك بالعلم ، أريد أن تحضر وفاتى تقرأ على سورة يس
و تغسلى بيدك و تسامحى فيه ، فامتن بما هو أهله و فد
و دعاله و سمع أذاناً فقال أهو فى الوقت فأجاب أس
الملك هذا أذان الاستدعاء لاستعداد صلاة الجمعة و يكو
فى العادة قبل الوقت . فقـــال أما صلاة الظهر فأصليه
عندكم و أما صلاة العصر فعند ربى فى الجنة إن شاء ا
تعالى . ثم أذن للحاضرين فى صلاة الجمعة و طلب مصلاه
وصلى ودعا الله سبحانه بوجه مقبل عليـــه و قلب منيب
إليه . دعاء من هو مفارق للقصر مشرف على القبر ، ؛
كان آخر دعائه « رب قـــد آتيتنى من الملك و علمتنى م
تأويل الأحاديث فاطر السموات و الأرض أنت ولى ؛
الدنيـا و الآخرة توفنى مسلمـاً و ألحقنى بالصالحين » و قا
من مصلاه و يقول استودعك الله و اضطجع على سرير
و هو مجتمع الحواس و وجهـه إلى القبلة ، و قال لا إ
إلا الله محمـــد رسول الله ، و فاضت نفسه و الخطيب ع
المنبر يدعو له .

وكان ذلك فى ثانى جمـــادى الأولى سنة ٩٣٢ هـ و حمل تابوته إلى « سركهيج » و دفن عند والده طيب الله ثراه ، و يحسن الاستشهاد هنا بما رثى به العماد الكاتب سلطـانه الملك العـادل نور الدين الشهيد رحمه الله .

يا ملكا أيامـــه لم تزل بفضله فاضلة فاخرة
ملكت دنيـــاك و خلفتها و سرت حتى تملك الآخرة

(نزهة الخواطر للسيد عبد الحى الحسنى)

رسول المسلمين عند قائد قواد الفرس

أرسل سعد قبل القادسية ربعى بن عامر رسولا إلى رستم قائد الجيوش الفارسية و أميرهم ، فدخل عليه و قـــد زينـوا مجلسه بالنمـارق المـذهبـة و زرابى الحرير و أظهر اليواقيت و اللآلى الثمينه ، و الزينة العظيمة و عليـه تاجـه و غير ذلك من الأمتعة الثمينة ، و قـد جلس على سرير من ذهب .

و دخل ربعى بثياب صفيقة و سيف و ترس وفرس قصيرة ، و لم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض تلك الوسائد ، و أقبل و عليه سلاحه ، و درعه على رأسه ، فقالوا له ضع سلاحك ، فقال إنى لم آتكم ، و إنما جئتكم حين دعوتمونى فان تركتمونى هكذا و إلا رجعت فقال رستم إئذنوا له ، فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق ، فخرق عامتها .

فقالوا له ما جاء بكم ؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، و من ضيق الدنيا إلى سعتها ، و من جور الأديان إلى عدل الاسلام فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه و رجعنا عنه ، و من أبى قاتلناه أبداً حتى نفضى إلى موعود الله .

قالوا و ما موعود الله ؟

قال الجنة لمن مات على قتال من أبى ، و الظفر لمن بقى .

فقال رستم : قد سمعت مقالتكم فهل لكم أن تؤخروا

هذا الأمر حتى ننظر فيه و تنظروا ؟

قال : نعم ! كم أحب إليكم ؟ يوماً أو يومين ؟

قال : لا ، بل حتى نكاتب أهل رأينا و رؤساء قومنا ! فقال ما سن لنا رسول الله ﷺ أن نؤخر الأعداء عند اللقاء من ثلاث ، فانظر فى أمرك و أمرهم ، و اختر واحدة من ثلاث بعد الأجل .

فقال أسيدهم أنت ؟

قال : لا و لكن المسلمون كالجسد الواحد يجير أدناهم على أعلاهم .

فاجتمع رستم برؤساء قومه فقال هل رأيتم قط أعز و أرجح من كلام هذا الرجل ؟ فقالوا معاذ الله أن تميل إلى شئ من هذا و تدع دينك إلى هذا الكلب ، أما ترى إلى ثيابه ؟ فقال و يلكم لا تنظروا إلى الثياب و انظروا إلى الرأى و الكلام و السيرة ، إن العرب يستخفون بالثياب و المأكل و يصونون الأحساب (١) .

---

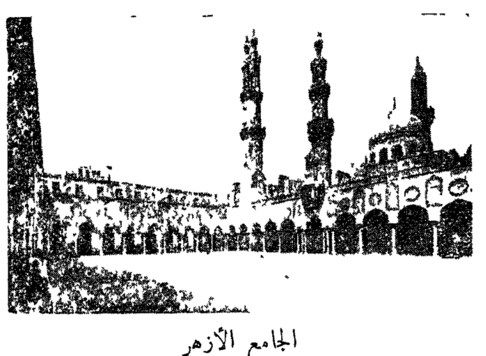
(١) البدايه و النهايه ج ٧ ص ٤٠

الجامع الازهر

الجامع الأزهر هو ذلك المسجد الكبير القائم في مدينة القاهرة لأكثر من تسعة قرون و نصف. و فيه تلك الجامعة الدينية الكبرى، و هو أول مسجد أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي لما اختط القاهرة، إذ شرع في بنائه لست بقين من جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هجرية، و تم بناؤه لتسع من رمضان سنة ٣٦١ هجرية.

و كان حال هذه المدرسة كأمثالها من المعاهد العلمية و دور التعليم، بدأت صغيرة لكنها ما لبثت أن اتسع نطاقها و عظم شأنها بما أفاض عليها الملوك و الأمراء حتى أصبحت منبعا للتعليم الديني، و طبق صيتها الخافقين فانحدر إليها الطلبة من أقصى المسكونة. و تخرج منها العلماء و الأئمة في كل فرع من فروع العلم الديني و غيره.

و قد زاد الملوك و الأمراء فى بنائه و وسعوا فى نواحيه و شادوا مساكن للطلاب (اروقة) و أسكنوا فيها من لم يكن له مسكن يأوى إليه ، و لا سيما الغرباء و أودعوا فيها كتب التدريس و المراجعة .



الجامع الأزهر

كان الأزهر يسير على نظام سهل يكاد يكون فطريا أساسه التقوى و قوامه إحترام الدين و أهله ، فلم يكن به من مظاهر نظامات هذه الأيام و تدبيراتها شئ .

كان الطالب يدخله مختارا بلا قيد و لاشرط و

يختلف إلى من أراد من العلماء لتلقى العلم عنه ، و يبقى فيه ماشاء أن يبقى ، فاذا آنس من نفسه علما كافيا و ملكة يتمكن بها من إفادة غيره جلس للتدريس حيث يجد مكانا خاليا ، و عرض نفسه على الطلبة فكانوا إذا وجدوه على علم التفوا حوله و قبلوا يده ، و إذا رأو غير ذلك انصرفوا عنه ، و تلك هى شهادة العالمية التى كان يعطاها العلماء .

و فى سنة ١٢٨٨ هجرية وضع أول قانون للأزهر و صدرت بعد ذلك عدة قوانين .

و فى ٣ المحرم سنة ١٣٥٥ صدر مرسوم باعادة تنظيم الجامع الأزهر و المعاهد الدينية العلمية الاسلامية و نفذ كقانون من قوانين الدولة .

و قد أنشئ قسم عام بالقاهرة ألحق بالجامع الأزهر من سنة ١٣٥٢ هـ لسد حاجة من يريد التوسع فى أحكام الدين و اللغة العربية ، و قد خص الأزهر دون سائر المعاهد بالتعليم العالى و التخصص .

و أنشئ قسم من الأزهر للتخصص فى علوم الدين و اللغة العربية و التاريخ الاسلامى و التربية و الوعظ

و الارشاد .

وكليات الجامع الأزهر هى : (١) كلية الشريعة (٢) كلية اللغة العربية (٣) كلية أصول الدين .

و شيخ الجامع الأزهر هو الامام الأكبر لجميع رجال الدين و المشرف الأعلى على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم و الدين فى القطر المصرى كله .

و للجامع الأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر يشرف على شئونه و إدارته و يرأس هذا المجلس شيخ الجامع الأزهر .

بلغت ميزانية الجامع الأزهر و المعاهد الدينية العلمية الاسلامية لسنة ١٩٣٦ - ١٩٣٧ المالية ٩٧٦ ٣٢٣ جنيها مصريا .

و يبلغ عدد الوظائف الدائمة الخاصة للمدرسين و الموظفين ٧٧٦ ، و عدد الوظائف المؤقتة ٢٣١ .

و بلغ عدد طلبة الأزهر سنة ١٩٣٦ ١٩٣٧ الدراسية ١١١٣٠ طالب .

و معظم طلبة الأزهر من المصريين و السوريين

و الأتراك و المغاربة و بعضهم يأتى من الأفغانستان و الصين و بغداد و بورنيو و الهند و جاوه و العجم و سنار و الصومال و جنوب أفريقيا و غيرها .

و كان فى الأزهر مجموعة كبيرة من الكتب متفرقة فى أروقته و فى جهات متعددة منه ، فلما توجهت العناية إلى إصلاح الأزهر و تحسين حاله أنشئت فى سنة ١٨٩٧م دار كتب عامة تسمى « دار الكتب الأزهرية الكبرى » تجمع ما تفرق فى أروقة الأزهر من الكتب ، و رتب لها ما يلزم من المال و العمال ؛ و ما زالت هذه الدار تتدرج فى الرقى حتى أصبحت تحتوى على ٧٢٦٢٧ مجلداً بين مخطوط ، و مطبوع ، و فيها من أمهات الكتب و نادرها ما لا يوجد فى دار كتب أخرى .

« تقويم مصر بتلخيص »

أدب القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

يآيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله و رسوله و اتقوا الله ، إن الله سميع عليم ، يآيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي و لا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم و أنتم لا تشعرون ، إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى ، لهم مغفرة و أجر عظيم ، إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون ، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم ، و الله غفور رحيم ، يآيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، و اعلموا أن فيكم رسول الله ، لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم و لكن الله حبب إليكم الايمان و زين

فى قلوبكم، وكره إليكم الكفر و الفسوق و العصيان ،
أولئك هم الراشدون ، فضلا من الله و نعمة ، و الله عليم
حكيم ، و إن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ،
فان بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى
تفيء إلى أمر الله . فان فآءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا ،
إن الله يحب المقسطين ، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين
أخويكم ، و اتقوا الله لعلكم ترحمون ، يآأيها الذين آمنوا
لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم و لا
نسآء عسى أن يكن خيراً منهن ، و لا تلمزوا أنفسكم و لا
تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ، و من
لم يتب فأولئك هم الظلمون ، يآيها الذين آمنوا اجتنبوا
كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم و لا تجسسوا
و لا يغتب بعضكم بعضاً ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه
ميتاً فكرهتموه ، و اتقوا الله ، إن الله تواب رحيم ،
يآأيها الناس إنا خلقنكم من ذكر و أنثى و جعلنكم
شعوباً و قبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن
الله عليم خبير ، قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا و

لكن قولوا أسلمنا و لما يدخل الايمان فى قلوبكم ، وإن تطيعوا الله و رسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً ، إن الله غفور رحيم ، إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله و رسوله ثم لم يرتابوا و جاهدوا بأموالهم و أنفسهم فى سبيل الله ، أولئك هم الصادقون ، قل أتعلمون الله بدينكم ، و الله يعلم ما فى السموات و ما فى الأرض ، و الله بكل شئ عليم ، يمنون عليك أن أسلموا ، قل لا تمنوا على إسلامكم ، بل الله يمن عليكم أن هداكم للايمان إن كنتم صادقين ، إن الله يعلم غيب السموات و الأرض ، و الله بصير بما تعملون ،

(سورة الحجرات)

شيخ الاسلام الحافظ ابن تيمية

ولد أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية بحران، يوم الاثنين فى ١٠ و قيل ١١ - ربيع الأول سنة ٦٦١ وقدم مع والده و أهله إلى دمشق و هو صغير، كانوا قد خرجوا من بلاد حران مهاجرين بسبب جور التتر فساروا بالليل و معهم الكتب على عجلة لعدم الدواب، و كاد العدو يلحقهم، و وقعت العجلة فابتهلوا إلى الله تعالى و استغاثوا به فنجوا، و قدموا دمشق فى أثناء سنة ٦٦٧ و سمع هناك من أكثر من مأتى شيخ ولازم السماع مدة سنين و اشتغل بالعلوم و حفظ القرآن. و أقبل على الفقه و برع فى النحو و أقبل على التفسير إقبالا كليا حتى حاز فيه قصب السبق، كل ذلك و هو ابن بضع عشرة سنة، ولم يزل على ذلك خلفا صالحا برا بوالديه تقيا ورعاً ناسكاً صواماً قواماً ذاكراً لله تعالى فى كل أمر وعلى كل حال، رجاعاً إلى الله تعالى فى سائر الأحوال و القضايا، وقافا

عند حدود الله تعالى و أوامره و نواهيه آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر، لا تكاد نفسه تشبع من العلم و لا تروى من المطالعة، و لا تمل من الاشتغال و لا تكل من البحث، و كان يحضر المجالس و المحافل فى صغره فيتكلم و يناظر و يفحم الكبار، و يأتى بما يتحير منه أعيان البلد فى العلم، و أفتى و له نحو ١٧ سنة، و شرع فى الجمع و التأليف من ذلك الوقت، و مات والده فكان من كبار الحنابلة و أئمتهم، درس بعده بوظائف و له ٢١ سنة فاشتهر أمره، و بعد صيته فى العالم، و أخذ فى تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسى من حفظه فكان يورد ما يقوله من دون توقف و لا تلعثم، و حج سنة ٦٩١ و رجع و قد انتهت إليه الامامة فى العلم و العمل، و لم يخل بعد ذلك من فتنة بعد فتنة، و لم ينتقل طول عمره من محنة إلا إلى محنة، حبس مراراً فى مسائل فقهية و كلامية و حبس مرة ببرج، و كان موضعه فسيحا فصار الناس يدخلون إليه و يقرأون عليه و يبحثون معه، و نقل إلى الجب، و نفى من بلاد و نقل

من بلاد إلى بلاد .

و قاموا عليه فى شهر رمضان سنة ٧١٩ ، وأكد عليه المنع من الفتيا ، ثم عقد له مجلس آخر فى رجب سنة ٢٠ ثم حبس بالقلعة ، ثم أخرج فى عاشوراء سنة ٧٢١ ، ثم قاموا عليه مرة أخرى فى شعبان ٧٢٦ بسبب مسألة الزيارة و اعتقل بالقلعة فلم يزل بها إلى أن مات فى ليلة الاثنين و العشرين من ذى القعده سنة ٧٢٨ ، و صلى عليه بجامع دمشق ، و صار يضرب بكثرة من حضر جنازته المثل ، و أقل ما قيل فى عددهم إنهم خمسون ألفا .

قال الذهبي كان يقضى منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف و استدل و رجح ، و كان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه فيه ' و ما رأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التى يوردها منه ' و لا أشد استحضاراً للمتون و عزوها منه ، كأن السنة نصب عينيه و على طرف لسانه بعبارة رشيقة و عين مفتوحة ، و كان آية من آيات الله فى التفسير و التوسع فيه ، و أما أصول

الديانة و معرفة أقوال المخالفين فكان لا يشق غباره فيه ، هذا مع ما كان عليه من الكرم و الشجاعة و الفراغ عن ملاذ النفس ، و لعل فتاواه فى الفنون تبلغ ثلث مأة مجلد بل أكثر ، و كان قوالا بالحق لا تأخذه فى الله لومة لائم .

كان أبيض أسود الرأس و اللحية قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أذنيه ، و كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال بعيد ما بين المنكبين ، جهورى الصوت فصيحا ، سريع القرأة ، تعتريه حدة لكن يقهرها بالحلم ، لم أر مثله فى ابتهاله و استغاثته و كثرة توجهه ، و أنا لا أعتقد فيه عصمة و كان بشراً من البشر تعتريه حدة فى البحث و غضب ، و كل أحد يؤخذ من قوله و يترك .

و كان محافظا على الصلاة و الصوم معظما للشرائع ظاهرا و باطنا لا يؤتى من سوء فهم فان له الذكاء المفرط ، و لا من قلة علم فانه بحر زخار و لا كان متلاعبا بالدين و لا ينفرد بمسائله بالتشهى ، و لا يطلق لسانه بما اتفق بل يحتج بالقرآن و الحديث و القياس و

يبرهن و يناظر .

قال الأقشهرى فى رحلته : ابن تيمية بارع فى الفقه و الأصلين و الفرائض و الحساب و فنون أخر ، و ما من فن إلا له فيه يد طولى و قلبه و لسانه متقاربان .

و قال شمس الدين ابن الحريرى قاضى الحنفية بدمشق إنه منذ ثلاث مأة سنة ما رأى الناس مثله .

و كان ابن تيمية يتكلم على المنبر على طريقة المفسرين مع الفقه و الحديث ، فيورد فى ساعة من الكتاب و السنة و اللغة و النظر ما لا يقدر أحد على أن يورده فى عدة مجالس ، كأن هذه العلوم بين عينيه فيأخذ منها ما يشاء و يذر .

و كان يمر بالكتاب مطالعة مرة فينتقش فى ذهنه و ينقله فى مصنفاته بلفظه و معناه ، و كان من أذكياء العالم و له فى ذلك أمور عظيمة ، منها أن محمد بن أبى بكر السكاكينى عمل أبياتا على لسان ذمى فى إنكار القدر ، فوقف عليها ابن تيمية فثنى إحدى رجليه

على الآخرى و أجاب فى مجلسه قبل أن يقوم بمأة وتسعة عشر بيتا .

وكان دائم الابتهال ، كثير الاستغاثة ، قوى التوكل ، رابط الجأش ، له أوراد و أذكار يدمنها قلبية و جمعية .

كيف تعلمت الاسلام فى الاندلس النصرانية

أطلعنى الله على دين الاسلام بواسطة والدى رحمة الله عليه و أنا ابن ستة أعوام أو أقل ، مع أن كنت إذ ذاك أروح إلى مكتب النصارى لأقرأ دينهم ثم أرجع إلى بيتى فيعلمنى والدى دين الاسلام ، فكنت أتعلم فيهما معاً ، و سنى حين حملت إلى مكتبهم أربعة أعوام فأخذ والدى لوحاً من عود الجوز كأنى أنظر الآن إليه مملسا من غير طفل و لاغيره ، فكتب لى فيه

حروف الهجاء و هو يسألى حرفاً حرفاً عن حروف النصارى
تدريباً و تقريباً ، فاذا سميت له حرفا أعجمياً كتب لى حرفا
عربيا فيقول لى هكذا حروفنا ، حتى استوفى لى جميع
حروف الهجاء فى كرتين ، فلما فرغ عن الكرة الأولى
أوصانى أن أكتم ذلك حتى عن والدتى و عمى و أخى
و جميع قرابتنا ، و أمرنى أن لا أخبر أحدا من الخلق ثم
شدد على الوصية ، و صار يرسل والدتى فتسئلنى ما الذى
يعلمك فأقول لها : لا شئ ، فتقول : أخبرنى بذلك و لا
تخف لأنى عندى الخبر بما يعلمك : فأقول لها : أبداً
ما هو يعلمنى شيئاً ، و كذلك كان يفعل عمى و أنا أنكر
أشد الانكار ، ثم أروح إلى مكتب النصارى و إلى الدار
فيعلمنى والدى إلى أن مضت مدة فأرسل إلى من إخوانه فى
الله الأصدقاء فلم أقر لأحد قط بشئ مع أنه رحمه الله تعالى
قد ألقى نفسه للهلاك لامكان أن أخبر بذلك عنه
فيحرق لا محالة ، لكن أيدنا الله سبحانه و تعالى بتأييده
و أعاننا على ذكره و شكره و حسن عبادته بين أظهر
أعداء الدين .

و قد كان و الدى رحمه الله تعالى يعلمنى حينئذ ما كنت أقوله عند رؤيتى للأصنام و ذلك أنه قال لى : إذ أتيت إلى كنائسهم و رأيت الأصنام فاقرأ فى نفسك سراً قوله تعالى ، يآ أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً و لو اجتمعوا له ، و إن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ، ضعف الطالب و المطلوب » و قل يآ أيها الكافرون لآأعبد ما تعبدون » إلى آخرها ، و غير ذلك من الآيات الكريمة و قوله تعالى : و بكفرهم و قولهم على مريم بهتاناً عظيماً ، و قولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه و ما صلبوه و لكن شبه لهم ، و إن الذين اختلفوا فيه لفى شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن و ما قتلوه يقيناً ، بل رفعه الله إليه و كان الله عزيزاً حكيماً . »

فلما تحقق والدى رحمه الله تعالى أنى أكتم أمور دين الاسلام عن الأقارب فضلا عن الأجانب أمرنى أن أتكلم بافشائه لوالدتى و عمى و بعض أصحابه الأصدقاء

فقط ، و كانوا يأتون إلى بيتنا فيتحدثون فى أمر الدين و أنا أسمع ، فلما رأى حزمى مع صغر سنى فرح غاية الفرح و عرفنى بأصدقائه و أحبائه و إخوانه فى دين الاسلام فاجتمعت بهم واحداً واحداً .

و سافرت الأسفار لأجتمع بالمسلمين الأخيار من جيان مدينة ابن مالك إلى غرناطة و إلى قرطبة وأشبيلية و طليطلة و غيرها من مدن الجزيرة الخضراء أعادها الله تعالى للاسلام ، فتلخص لى من معرفتهم أنى ميزت سبعة رجال كانوا كلهم يحدثونى بأمور غرناطة و ما كان بها فى الاسلام حينئذ و بما أقوله بعد و قلته قبل ، فسندى عال لكونه ماتم إلا بواسطة واحدة بينى و بين الاسلام بها .

فباجتماعى بهم حصل لى خير كثير ، و لله المنة ، وقد قرأوا كلهم رحمهم الله على شيخ من مشائخ غرناطة أعادها الله للاسلام يقال له الفقيه اللوطورى رحمه الله تعالى و نفعنا به ، فانه كان رجلا صالحا و ليا لله فاضلا زاهداً ورعا عارفا سالكا ، ذا مناقب ظاهرة مشهورة و

كرامات ظاهرة مأثورة ، قد قرأ القرآن الكريم فى مكتب
لاسلام بغرناطة قبل استيلاء العدو عليها ، و هو ابن
ثمانية أعوام ، و قرأ الفقه و غيره على مشائخ أجلاء حسب
الامكان لأن الوقت ضاق فى السر و الاعلان ، لشدة
القتال و الحصر الذى كان عليهم مع صغر سنه ، ثم
بعد مدة يسيرة انتزعت غرناطة من أيدى المسلمين أجدادنا
و قد أذن العدو فى ركوب البحر و الخروج منها لمن
أراده و بيع ما عنده و إتيانه لهذه الديار الاسلامية
أبقاها الله تعالى عامرة بالاسلام إلى يوم الدين ، و ذلك
فى مدة ثلاثة أعوام ، و من أراد أن يقيم على دينه
و ماله فليفعل بعد شروط اشترطوها و إلزامات كتبها
عدو الدين على أهل الاسلام . فلما تحركوا لذلك أجدادنا
و عزموا على ترك ديارهم و أموالهم و مفارقة أوطانهم
للخروج من بينهم ، و جاز إلى هذه الديار التونسية
و الحضرة الخضراء بعثة من جاء إليها حينئذ ، و دخلوا
فى زقاق الأنداس المعروف بهذا الاسم و ذلك سنة
اثنتين و تسع مأة ، و كذلك للجزائر و تطوان وفاس

و مراكش و غيرها ، و رأى العـــدو العزم فيهم لذلك نقض العهـــد فردهم رغم أنوفهم من سواحل البحر إلى ديارهم ، و منعهم قهرا عن الخروج و اللحوق باخوانهم و قرابتهم لديار الاسلام ، و قد كان العدو يظهر شيئا و يفعل بهم آخر مع أن المسلمين أجدادنا استنجدوا مراراً ملوك الاسلام كملك فاس و مصر حينئذ فـلم يتم من أحدهما إلا بعض مراسلات ليقضى الله أمراً كان مفعولا .

ثم بقى العدو و يحتال بالكفر عليهم غضبا ، فابتدأ يزيل لهم اللباس الاسلامى والجماعات و الحمامات والمعاملات الاسلامية شيئاً فشيئاً مع شدة امتناعهم و القيام عليـــه مرارا ، و قتالهم إياه ، إلى أن قضى الله سبحانه ما قد سبق فى علمه ، فبقينا بين أظهرهم و عـدو الدين يحرق بالنـار من لاحت عليه أمارة الاسلام و يعذبه بأنواع العـذاب ، فكم أحرقوا و كم عذبو و كم نفوا من بلادهم و ضيعوا من مسلم ، فانا لله و إنا إليه راجعون .

« سيدى محمد بن عبد الرفيع الأندلسى (١٠٥٢هـ)

وصف قلم

أهدى إلى سيدى (١) قلما رشيقا من دكن
يا حبذا تلك العلى من ماجد حبر الزمن
هو خير ما يهدى إلى باغى العلوم و الفنن
يسقى العباد بريقه و دمائه يحيى السنن
كم خامل نالوا به ذكرا رفيعا فى الوطن
كم معدم حازوا به مالا عظيما فى المحن
تفرى الأمور بحده و لمجده يعنو الزمن
سيف صقيل فى الوغى موت ذريع بالرسن
يرمى البغاة بسهمه و بطرفه تخبوا الفتن
كم عاجز يقوى به بعد التذلل و الوهن
كم صاغر يلقى به عزاً عزيزاً و المنن
يرقى اللديغ بنفثه فيهب يمشى من و سن

---

(١) يعنى الشاعر به الأستاذ الكبير السيد سليمان الندوى و قد أهدى إلى الناظم قلما مطبوعا عليه اسمه فى رجوعه من حيدرآباد دكن

يروى الظماء زلاله فكأن غماما قد هتن
يشفى العليل بطبـــه و بسحره يغبى الفتن
كم مفحم ألقى به خطبات سحبان اللسن
يسقى الجديب بنبعـــه فاذا به روض أغن
فلثمته متبركاً
و حسبته إحدى المنن

(محمد ناظم الندوى)

عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند

١

الامام المجاهد المظفر المنصور السلطان بن السلطان أبو المظفر محى الدين محمـــد أورنك زيب عالمكير بن شاه جهان الغازى المؤيد من الله ، القائم بنصرة الدين الذى أيد الاسلام و فتح الفتوحات العظيمة و ساس

الأمور و أحسن إلى الرعايا ، و صرف أوقاته في القيام بمصالح الناس و بما يرضى به رب العلمين من صيام و قيام و رياضة لا يتيسر بعضها لآحاد الناس فضلا عن الملوك و السلاطين ، و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

و لد ليلة الأحد بخمس عشرة خلون من ذى القعده سنة ثمان و عشرين و ألف بقرية دوحد على ماة أميال من أجين ، و سبعين ميلا من بڑوده من بطن أرجمند بانو بنت آصف خان أبي الحسن بن غياث الدين الطهرانى فى أيام جده جهانگير بن أكبر شاه ، و نشأ فى مهد السلطة و تنبل فى أيام جده و أبيه و قرأ العلم على مولانا عبد الطيف السلطان پورى و مولانا محمد هاشم الگيلانى و الشيخ محى الدين بن عبد الله البهارى و على غيرهم من الأساتذة و أخذ خط النسخ عن الحاج القاسم و النستعليق عن السيد على بن محمد مقيم الماهرين فى الخط حتى كتب خط المنسوب و صار مضرب المثل فى جودة الخط ، و برز فى كثير من العلوم و الفنون

و بايع الشيخ محمد معصوم بن الشيخ أحمد السرهندى و أخذ الطريقة عن الشيخ سيف الدين بن محمد معصوم المذكور، و كان يلازمه بأمر والده لذلك حتى حصلت له نفحة منه و بشره بأشياء و اشتهر ذكره فى حياة والده و عظم قدره فولاه والده الأعمال العظيمة فى أرض دكن فباشرها أحسن مباشرة، ثم حصل لوالده مرض صعب عطله عن الحركة و كان ولى عهده من بعده أكبر أولاده دارا شكوه فبسط يده على البلاد و صار هو المرجع و السلطان معنى، فلم ترض نفوس إخوته بذلك فنهض شجاع من بنگاله و مراد بخش من گجرات وعالمگير من أرض دكن كل منهم يريد أن يقبض على أخيه دارا شكوه و يتولى المملكة، فاتفق عالمگير و مراد بخش على ذلك فقاتلاه و غلبا عليه، ثم احتال عالمگير على مراد بخش و قبض عليه و اعتقل أخويه ثم قتلهما لأمور صدرت منهما و أفتى العلماء أنهما استوجبا القتل و حبس والده فى قلعة أكبر آباد و هيأله ما يشتهيه من ملبوس و مأكول و أهل الخدمة من الجوارى و الغلمان، و كانت

جهان آرا بيكم بنت شاه جهان تقيم مع والدها فى القلعة ، و السيد محمد الحسينى القنوجى يلازمه يشتغل عليه و يذاكره فى ما ينفعه فى عقباه .

و جلس عالمكير على سرير الملك سنة ثمان و ستين و ألف فافتتح أمره بالعدل و الاحسان و رفع المظالم و المكوس ، و أسر غالب ملوك الهند المشهورين و صارت بلادهم تحت طاعته ، و جبيت له الأموال و أطاعته البلاد و العباد و لم يزل فى اجتهاد من الجهاد و لم يرجع إلى مقر ملكه و سلطنته بعد أن خرج منه ، فكلما فتح بلاداً شرع فى فتح أخرى حتى لحقت حدود ملكه فى الجهة الشمالية إلى حدود خبوه و بخارا ، و فى الجهة الجنوبية إلى البحر المحيط ، و فى الجهة الغربية إلى سومنات على شاطى بحر الهند ، و فى الجهة الشرقية إلى پورى منتهى أرض أڑيسه .

و كان عالمكير عالماً ديناً تقياً متورعاً متصلباً فى المذهب ، يتدين بالمذهب الحنفى لا يتجاوز عنه فى قول ولا فعل ، و كان يعمل بالعزيمة و كان يصلى الصلوات المفروضة

فى أوائل أوقاتها بالجماعة فى المسجد مهما كان ، و يقيم السنن و النوافل كلها ، و يصلى صلاة الجمعة فى الجامع الكبير و لو كان غائبا عن البلدة لأمر من الأمور يأتيها يوم الخميس و يصلى صلاة الجمعة ثم يذهب حيث يشاء ، و كان يصوم فى رمضان فى شدة الحر و يحيى الليالى بالتراويح و يعتكف فى العشرة الأخيرة من رمضان فى المسجد ، وكان يصوم يوم الاثنين و الخميس و الجمعة فى كل أسبوع من أسابيع السنة ، و يصوم فى أيام ورد عن النبى ﷺ أنه كان يصوم فيها ، و كان يخرج الزكاة من أمواله قبل أن يجلس على سرير الملك و بعده مما خص لنفسه من عدة قرى و بعض معادن الملح للمصارف الخاصة من نقير و قطمير ، و كان يريد أن يرحل إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيارة فى أيام والده فلم يرض بفراقه و بعد ذلك لم تمهله المصالح الملكية ، و لكنه كان يرسل الناس إلى الحرمين الشريفين للحج و الزيارة و يبذل عليهم العطايا الجزيلة و يبعث إليهما أموالا طائلة لأهل الحوائج فى أيام الحج بعد سنة أو سنتين ، و يوظف

الذاكرين و الذاكرات و يجعل لهم الأرزاق السنية ،
و يداوم على الطهارة بالوضوء و يحافظ على الأذكار والأدعية
المأثورة عن النبي ﷺ فى غالب أوقاته ، و يحي الليالى
المتبركة بالصلاة و الصدقة و صحبة العلماء و المشائخ فى
المسجد ، و كان يحترز عن كل سوء و مكروه منذ نعومة
أظفاره ، لم يشرب الخمر قط ولم يقارب إمرأة لا تحل له ،
و كان لا يستمع للغناء بالمزامير منذ جلس على سرير
الملك مع أنه كان ماهرا فى الايقاع و النغم ، و ما كان
أن يلبس الملبوسات غير المشروعة و ما كان أن يأكل
فى الظروف الذهبية و الفضية ، و أمر أن تصاغ الجواهر
الثمينة فى الحجر اليشب مقام الذهب و نهى الأمراء أن
يلبسوا غير المشروع ، و كان يمنعهم أن يتذاكروا بين يديه
بكذب و غيبة و قول الزور و أمرهم أن يعبروا عن
الأمور المستكرهة إن وقع لهم حاجة إلى ذلك ، و كان
موزعا لأوقاته فوقت للعبادة و وقت للمذاكرة و وقت
لمصالح العسكر و وقت للشكاة ، ووقت لقرأة الكتب والأخبار
الواردة عليه كل يوم وليلة من مملكته لا يخلط شيئا بشئ .

عالمگیر بن شاه جهان سلطان الهند



و من مآثره الجليلة أنه حفظ القرآن الكريم بعد جلوسه على سرير الملك فأرخ بعض العلماء لبدء حفظه من قوله « سنقرئك فلا تنسى » و لتمامه من قوله « لوح محفوظ » .

و كانت له معرفه بالحديث ، له كتاب الأربعين جمع فيه أربعين حديثا بعد الولاية، و ترجمها بالفارسية و علق عليها فوائد نفيسة ، و كانت له مهارة تامة فى الفقه يضرب به المثل فى استحضار المسائل الجزئية ،

و كان بارعا فى الخط كتب مصحفا بيده قبل جلوسه على السرير و بعثه إلى مكة المباركة وبعد جلوسه مصحفا آخر و بعثه إلى المدينة المنورة ، و انتسخ الألفية لابن مالك فى صباه و أرسلها إلى مكة لينتفع بها الناس

من أهل البلدة المباركة ، و كان ماهراً فى الانشاء و الترسل لم يكن له نظير فى زمانه فى ذلك ، و قد جمع المؤلفون شيئا كثيرا من رسائله فى كتب كثيرة ، و كان مقتدرا على الشعر و لكنه كان قليل العناية به يمنع الناس من أن يضيعوا أوقاتهم فى ذلك .

و كان ماهرا فى الرمى والطعن و الضرب و الفروسية و غيرها من الفنون الحربية شجاعا مقداما باسلا ، و كان والده شاه جهان يوما يتفرج فى البرج المشرف على نهر جمن على مصارعة الأفيال ، و كان عالمگير أيضاً فى الزحام و هو يومئذ فى الرابع عشر من سنه وكان على فرس ، و إذا بفيلة قد ثارت ففر الناس كلهم و ثبت عالمگير و توجهت إليه الفيلة ولفت فرسه بخرطومها وصرع عالمگير من صهوة الفرس ثم قام و سل السيف عليها و جاء الناس و دفعوا الفيلة بالضرب و الطعن و إيقاد النار .

و كان سخيا جواداً كريماً يبذل على الفقراء و أهل الحاجة العطايا الجميلة و يسامحهم فى الغرامات ، أبطل ثمانين

نوعا من المكوس فى سنة تسع و ستين و ألف ، ونهى
عن مطالبة الأبناء بغرامات الآباء و مصادرة أموالهم فى
القضاء ، و بذل أموالا طائلة على اصلاح الشوارع والطرق
فى نواحى الهند ، و حفر الآبار و أجرى العيون و أسس
الجسور و رباطات و حمامات و مساجد و اصطبلات لابن
السبيل يستريح الناس بها فظلوا آمنين مطمئنين ، وبذل الأموال
الطائلة فى بناء المساجد ، و بنى مساجد كثيرة فى أرض
الهند و عمر القديمة منها و جعل الأرزاق للائمة والمؤذنين
و الرواتب للمساجد من بسط و سرج و غير ذلك ،
و أسس دور العجزة فى أكثر البلاد زيادة على ما كانت
فى العصور الماضية ، و المارستانات فى أكثر بلاده ،
و كان يرسل العطايا الجيلة إلى أهل الحرمين الشريفين
زادهما الله شرفا بعد سنة أو سنتين ، و وظف خلقا
كثيرا من العلماء و المشائخ ليشتغلوا بالعلم و الافادة منقطعين
فارغى القلوب عن هموم الدنيا ، و كان يتصدق بتسع و
أربعين ألفا و مأة ألف فى السنة غير ما يتصدق به فى
الاعياد و المواسم .

وكان مقتصدا فى الخيرات غير مسرف فى المال لا يعطى الشعراء شيئا و لا لأهل الايقاع و النغم خلافا لأسلافه فانهم كانوا يبذرون فى المال تبذيراً كثيرا ، و إذا وظف العلماء أو أقطعهم اشترط بالدرس و الافادة لكيلا يتخذوها ذريعة لأخذ المال فقط .

وكان مجبولا على العدل و الاحسان و فصل القضاء على و فق الشريعة المطهرة ، أمر العلماء أن يدونوا المسائل و الأقضية من كل باب من أبواب الفقه فدونوها و صنفوا الفتاوى العالمكيرية فى ست مجلدات كبار اشتهرت فى الأقطار الحجازية والمصرية والشامية والرومية ، وعم بها النفع و صارت مرجعا للفتين و أنفق على جمعها مأتى آلف من النقود و أمر القضاة أن يقضوا بها .

وكان يظهر كل يوم بدار العدل بعد الاشراق فيعرض عليه ناظر العدلية الأقضية فيحكم بما ألقى الله سبحانه فى روعه ثم يطلب الناظر بالديوان الخاص فيعرض عليه المتظلمين فيستنطق المتخاصمين و يتأمل فى الأقضية و يحكم بما أراه الله سبحانه .

و هو أول من وضع الوكالة الشرعية فى دور القضاء فولى رجالا من أهل الدين و الأمانة فى دور القضاء بكل بلدة و عمالة ليكونوا وكلاء عنه فيما يستغاث عليه فى الحقوق الشرعية و الديون الواجبة عليه و أجاز للناس أن يستغيثوا عليه عند القاضى ، و هو أول من نصب المحتسبين فى بلاده و امتاز فى الملوك التيمورية فى ذلك .

قال المحبي فى خلاصة الأثر هو ممن يوصف بالملك العادل الزاهد فانه مع سعة سلطانه يأكل فى شهر رمضان رغيفا من خبز الشعير من كسب يمينه ، و يصلى بالناس التراويح ، و أمر من حين ولى السلطنة برفع المكوس و المظالم عن المسلمين ، و نصب الجزية بعد أن لم تكن على الكفار و تم له ذلك مع أنه لم يتم لأحد من أسلافه أخذ الجزية منهم لكثرتهم و تغلبهم على إقليم الهند ، و أقام فيها دولة العلم و بالغ فى تعظيم أهله و عظمت شوكته و فتح الفتوحات العظيمة ، و هو مع كثرة أعدائه و قوتهم غير مبال بهم مشتغل بالعبادات و

ليس له فى عصره من الملوك نظير فى حسن السيرة و الخوف من الله تعالى ، و القيام بنصرة الدين .

توفى عالمگير فى دكن فى شهر ذى القعدة الحرام سنة ١١١٨هـ و أقام فى الملك خمسين سنة .

« نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى »

تجارة رابحة

بسم الله الرحمن الرحيم

سبح لله ما فى السموات و ما فى الأرض و هو العزيز الحكيم ، يآ أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لاتفعلون ، كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون ، إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ، و إذ قال موسى لقومه يقوم لم تؤذوننى و قد تعلمون أنى رسول الله إليكم ، فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم ، و الله

لا يهـــدى القوم الفاسقين ، و إذ قال عيسى ابن مريم يبنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة و مبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هـذا سحر مبين ، و من أظلم ممن افترى على الله الكذب و هو يدعى إلى الاسلام ، و الله لا يهدى القوم الظلمين ، يريدون ليطفؤا نور الله بأفواههم ، و الله متم نوره و لو كره الكافرون ، هو الذى أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كلـه و لو كره المشركون ، يآأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجـارة تنجيكم من عذاب أليم ، تؤمنون بالله و رسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم و أنفسكم ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ، يغفر لكم ذنوبكم و يدخلكم جنت تجرى من تحتها الأنهار و مسكن طيبة فى جنت عدن ، ذلك الفوز العظيم ، و أخرى تحبونهـــا نصر من لله و فتح قريب ، و بشر المؤمنين ، يآأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله ،قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طـــآئفة من بنى

اسرائيل و كفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين ،

(الصف)

الشيخ نظام الدين اللكهنوى

الشيخ الامام العالم الكبير ، العلامة الشهير صاحب العلوم و الفنون و غيث الافادة المتون العالم بالربع المسكون ، أستاذ الأساتذة و إمام الجهابذة الشيخ نظام الدين بن قطب الدين بن عبد الحليم الأنصارى السهالوى ثم الكهنوى الذى تفرد بعلومه و أخذ لواءها بيده ، لم يكن له نظير فى زمانه فى الأصول و المنطق والكلام .

و لد بسهالى و توفى والده مقتولا و هو فى الرابع عشر أو الخامس عشر من سنه ، فانتقل إلى لكهنؤ مع صنوه الكبير محمد سعيد فأعطى عالمكير بن شاه جهان

سلطان الهند قصراً بذلك المقام لأبناء الشيخ الشهيد يعرف بفرنكى محل ، لأنه كان من أبنية تاجر أفرنكى ، فلما اطمأن قلبه خرج من لكهنؤ و ذهب إلى بلدة جائس وقرأ أكثر الكتب الدرسية على ملا على قلى الجائسى ثم ذهب إلى بلدة بنارس و تلمذ على الحافظ أمان الله بن نور الله البنارسى و قرأ عليه شرح المواقف ، ثم رجع إلى بلدة لكهنؤ و تلمذ على الشيخ غلام نقشبند بن عطاء الله اللكهنوى و قرأ عليه الرسالة القوشجية فى الهيئة . و قرأ فاتحة الفراغ و له خمس و عشرون سنة ، ثم تصدى للدرس و الافادة فتكاثر عليه الطلبة و خضع له العلماء و طارت مصنفاته فى حياته إلى الأمصار و البلاد و تلقى نظام درسه فى مدارس العلماء بالقبول ، و اشتهر (بالدرس النظامى) و انتهت إليه رياسة التدريس فى أكثر بلاد الهند .

وكان مع تبحره فى العلوم وسعة نظره على أقاويل القدماء عارفا كبيرا زاهدا مجاهداً شديد التعبد عميم الأخلاق حسن التواضع كثير المؤاساة بالناس ، و كان

لا يتقيد بتكبير العمامة و تطويل الأكمام و الطيلسان ، أخذ الطريقة القادرية عن الشيخ عبد الرزاق بن عبد الرحيم البانسوى و بايعه و له أربعون سنة .

قال السيد غلام على البلگرامى فى سبحة المرجان أنا دخلت لكهنؤ فى التاسع عشر من ذى الحجة الحرام سنة ثمان و أربعين ومأة و ألف ، و اجتمعت بالملا نظام الدين فوجدته على طريقة السلف الصالحين يلمع على جبينه نور التقديس .

و من مصنفات الشيخ نظام الدين شرحان على مسلم الثبوت للقاضى محب الله الأطول والطويل ، وشرح على منار الأصول و شرح على تحرير الأصول لابن الهمام و شرح على المبارزية و حاشية على شرح هداية الحكمة للشيرازى ، و حاشية على الشمس البازغة للجونپورى و حاشية على شرح العضدية للدوانى و حاشية على الحاشية القديمة ، و له المناقب الرزاقية كتاب بالفارسى فى أخبار شيخه عبد الرزاق .

و أما تلامذته فانهم كثيرون أجلهم السيد كمال الدين

العظيم آبادي و السيد ظريف العظيم آبادى ، و العلامة كمال الدين فتح پورى و الشيخ غلام محمد البرهان پورى و مولانا حقانى الشاانڈوى و الشيخ عبد الله الأميٹهوى و الشيخ أحمد بن غلام نقشبند اللكهنوى و حمد الله بن شكر الله السنديلوى و الشيخ عبد الرشيد الجونپورى المدفون بلكهنؤ و الشيخ وجيه الدين لدهلوى و مولانا غلام محمد عمر الشمس آبادى و مولانا غلام فريد المحمد آبادى و مولانا محمد المالكى التلمسانى و السيد شاكر الله السندولوى و الشيخ محمد حسن بن غلام مصطفى و صنوه محمد ولى و الشيخ أحمد عبد الحق بن محمد سعيد و ولده ملك العلماء عبد العلى محمد و خلق كثير من الناس .

توفى يوم الأربعاء لثمان خلون من جمادى الأولى سنة ١١٦١هـ فى حصاة المثامة و قد جاوز سبعين سنة .

(نزهة الخواطر للشيخ عبد الحى الحسنى)

من الشنق إلى النفى

(١)

فى اليوم الثانى من شهر مايو سنة ١٨٦٤م جلس ايدوردس القاضى الانكليزى على كرسى فى محكمة أنباله و جلس بجنبه أربعة من وجهاء البلد ليروا رأيهم فى القضية ، و وقف أمام هؤلاء أحد عشر رجلا تنطق وجوههم و ملامحهم بشرفهم و براءتهم ، و لكنهم من كبار الجناة و المجرمين ، فانه يقال إنهم دبروا مؤامرة ضد الحكومة الانكليزية فى الهند ، و كانوا يساعدون أنصار السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد و المجاهد الجليل الشيخ إسمعيل الشهيد على حدود أفغانستان بالمال و الرجال يرسلونها سرا من داخل البلاد بحكمة عجيبة ، و كانوا و ضعوا لمراسلاتهم لغة رمزية و كانوا يجمعون إعانات من رعايا الانكليز أنفسهم و يرسلونها إلى مركز

الثوار ، عثرت على ذلك الحكومة بوشاية جندى مسلم فى جنود الانكليز و أسرتهم فى بتنـــه و تهانيسر و لاهور و حاكمتهم ، و هذا يوم يصدر فيه الحكم عليهم .

غصت المحكمة بالزائرين فقــد كانت القضية حديث المجالس ، و حان صدور الحكم فشخصت الأبصار و أصغت الآذان و اضطربت القلوب و خفتت الأصوات ، و إذا بالقاضى يتكلم فى صوت الغضبـان و يخاطب شابا جميلا قويا يظهر أنه ربيب نعمة و سليل شرف .

« إنك يا جعفر رجل عاقل متعلم و لك معرفـــة حسنة بقـانون الدولة و أنت عمدة بلدك و من سراته ، و لكنك بذلت عقلك و علمك فى المؤامرة و الثورة على الحكومة و كنت واسطة فى انتقال المـال و الرجال من الهنـد إلى مركز الثوار ، و لم تزد إلا أن جحدت و عاندت ، و لم تثبت أنك كنت مخلصا و ناصحا للدولة وها أنا ذا أحكم عليك بالاعدام و مصادرة جميع ما تملك من مال و عقار ، و لا يسلم جسدك بعـد الشنق إلى ورثتك بل يدفن فى مقبرة الأشقياء بكل مهانة و سأكون

سعيداً مسروراً حين أراك معلقا مشنوقا »

استمع الشاب فى سكينة و وقار و لم يتغير و لم يضطرب ، و لما انتهى القاضى من كلامه قال محمد جعفر : إن النفوس و الأرواح بيد الله تعالى ، يحي و يميت و إنك أيها القاضى لا تملك حياة و لا مماتاً و لا تدرى من السابق منا إلى منهل الموت .

فو الله ما أدرى و انى لصادق

على أينا تغدو المنية أول

ثار الرجل غضبا و جن جنونه ، و لكنه قد أطلق آخر سهم من سهامه لا يملك غيره .

استبشر محمد جعفر حين صدر عليه الحكم و تهلل وجهه فرحا ، و كأنما تمثلت له الجنة ، و تمثلت له الحور و القصور ، و تمثل ببيت الشاعر .

هذا الذى كانت الأيام تنتظر

فليوف لله أقوام بما نذروا

قضى الناس العجب مما رأو و دنا إلى محمد جعفر ضابط انكليزى يقال له بارسن ، و قال له : لم أركا ليوم

قد حكم عليك بالاعدام و أنت مسرور مستبشر قال محمد جعفر : و ما لى لا أفرح و لا أستبشر و قد رزقنى الله الشهادة فى سبيله ، و أنت يا مسكين لا تدرى حلاوتها .

وحكم القاضى على رجلين آخرين بالاعدام أحدهما شيخ تلوح عليه سيما الصالحين و آية العابدين قد تلقى النبأ فى سرور و شكر و هو مولانا يحي على الصادقبورى أمير هذه الجماعة ، و الآخر شاب يظهر أنه من الأغنياء و التجار الكبار و أن أصله من بنجاب و هو الحاج محمد شفيع . و حكم على الثمانية الباقية بالنفى المؤبد .

سمع الناس المجتمعون الحكم فى حزن و أسف شديد وفاضت العيون و سالت الدموع واجتمع الناس من رجال و نساء على جانبى الشارع إلى السجن ينظرون إلى هؤلاء البؤساء و يرثون لهم .

و وصلوا إلى السجن و نزعت ثيابهم و ألبسوا ثياب المجرمين ، و سجن كل واحد من الثلاثة فى حجرة ضيقة مظلمة لا يدخل فيها الهواء و لا ينفذ فيها النور و باتوا

فيها فى حر شديد بشر ليلة بات قوم و جاءت بكرة برقية تسمح لهم بالمبيت فى الميدان .

و فى النهار أعيدوا إلى حجراتهم الضيقة ، و كان لا يمكن لأحد أن يعيش فى مثل هـــذه الحجرة الضيقة مدة أسبوع ، ففتح بابها و عين جنـــدى ليحرس هؤلاء الجنود أكثرهم من الكفار فكان مولوى يحيي على يغتنم الفرصة و يأتسى بأسوة يوسف الصديق عليـــه السلام و يخاطب الحارس و يقول : أ أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ، فيظل الرجل باكيا فاذا نقل من مكانه حزن حزنا شديدا .

و هكذا غرس الشيخ فى قلوب كثير من أصحاب السجن عقيدة التوحيد و بذر فيها بذور الايمـان وكم من رجال أسلموا ، و كم من ناس تابوا ، و كان الشيخ لا يضيع فرصة ، فاذا صادف أحداً أمره بالمعروف و نهاه عن المنكر .

و بدأ زبانية السجن يضعون لهؤلاء حبلا و عودا للشنق على مرأى منهم و مسمع ، و هؤلاء يرون كل

ذلك مطمئنين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون .

أما مولانا يحي علي فهو من أشد الناس فرحا كأنه من شوق الجنة فى الجنة و من انتظار النعيم فى النعيم ينشد الأبيات فى حنين و وجد ، و يتمثل بما قال سيدنا خبيب رضى الله عنه عند شنقه .

و لست أبالى حين أقتل مسلما
على أى شق كان فى الله مصرعى
و ذلك فى ذات الاله و إن يشأ
يبارك على أوصال شلو ممزع

و كذلك رفقته ، وجوه ضاحكة مستبشرة ونفوس هادئة مطمئنة ، و قلوب راضية مسرورة ، خشوع فى الصلاة و عبادة فى نشاط و ذكر و تسبيح و تلاوة آيات وحنين و وجد ، و إنشاد أبيات .

من الشنق إلى النفى

(٢)

مات القاضى الانكليزى الذى حكم على هؤلاء الثلاثة بالاعدام فجـأة على إثر الحكم و جن الضابط الانكليزى بارسن الذى ألقى القبض على محمـد جعفر و ضربه يوما من الساعة الثامنة صباحا إلى الساعة الثـامنة مساءا ، و مات فى جنونه شرميتة ، فكان كما أنذر محمد جعفر « و رب أغبر أشعث لو أقسم على الله لأبره »

و كان يدخل إلى السجن كثير من الانكليز و الافرنجيات يتفرجون على هؤلاء السجنـاء و يشمتون بمصير الأعداء و كانوا يقضون العجب من سرورهم ونشاطهم و يسألونهم لماذا لا تحزنون ياهؤلاء و أنتم على عتبـة الموت و على موعد من الشنق ؟ ! فيجيبونهم : هذا لأجل الشهادة التى ليس فوقها نعمة و سعادة .

و يرجعون إلى الحكام الانكليز و يحدثونهم بما رأوا و بما سمعوا فيزدادون غيظا على غيظ ، و لكن ماذا يصنعون ؟ إنهم إذا أطلقوهم فقد أطلقوا أعداءاً قد ثاروا على الدولة و إنهم سيرجعون إلى ذلك ، و إذا شنقوهم و قتلوهم فقد بلغوهم أملهم و اجتهدوا فى سرورهم .

قد عز على الانكليز كل ذلك و لم تطب أنفسهم به ، فكروا فى القضية و فكروا و فكروا و وجدوا طريقاً وسطا بين القتل و الاطلاق ، و الانكليز أمة قانونية ذكية .

فى يوم من الأيام جاء حاكم المدينة الانكليزى إلى السجن و تلى على الثلاثة المحكومين عليهم بالاعدام حكم محكمة الاستئناف .

« إنكم أيها الثوار تحبون الشنق و تعدونه شهادة فى سبيل الله و لا نريد أن نبلغكم أملكم و ندخل عليكم السرور ، فننسخ حكم الاعدام و نحكم عليكم بالنفى المؤبد إلى جزائر سيلان » .

و هنا قصت لحاهم و شعر رؤسهم ، و كان مولانا يحيي على يرفع الشعر و يخاطب لحيته المقصوصة و يقول :

و فى سبيل الله ما لقيت

و شنق إنكليزى بحبل و عود قد أعد لأولئك المسلمين فانعكست القضية .

و أمر المسجونون بالاشتغال بأعمال شاقة ، و أمر مولانا يحيي على بنزع الدلاء من بئر ، و كانت كبيرة و ثقيلة لا ينزعها الشبان الأقوياء إلا بشق الأنفس ، والأستاذ شيخ ضعيف ، و كان اليوم صائفا شديد الحر فنزفه الدم فى بوله و لكنه استمر فى شغله صابراً محتسباً لا يشكو و لا يئن ، ثم نقل إلى عمل سهل ، فكان يقوم به بأمانة و نصيحة ، و يوصى المسجونين الآخرين بذلك أيضاً و يقول لهم : إذا كنتم تتمتعون هنا بطعام و لباس فما بالكم لا تؤدون وظيفتكم بأمانة و نصيحة .

و لم يزل الشيخ فى السجن آمراً بالمعروف ناهيا عن المنكر داعياً إلى الله واعظاً مرشداً ، فتاب كثير من المجرمين و أنابوا إلى الله .

و نقل الشيخ من أنباله إلى لاهور وأقام فى سجنه عاما كاملا ، و كان هنا لك الجناة و اللصوص و قطاع الطريق و الفساق . فكان يقبح لهم الجنايات و الفسوق و العصيان ، و يزين لهم الدين و التقوى و العفاف ، و يحثهم على الطاعة و التوبة و الانابة و إصلاح الحال و يدعوهم إلى التوحيد و المحافظة على الصلاة و الصيام و يحذرهم من عذاب الله و نقمته فتاب كثير من اللصوص و قطاع الطريق ، و حسن حالهم و أخلصوا لله الدين و تابوا و أقاموا الصلاة .

و كان من هؤلاء رجل من بلوجستان و كان شديد البطش جباراً ، و قد سطا بخدم السجن مراراً وضربهم بسلاسله و كان لا يقوم بأعماله و وظائفه و قد عوقب عقابا شديداً فلم يتب و لم يكن ، و قد يئس منه زبانية السجن و قطعوا منه الرجاء ، و صادف مبيته مرة بالقرب من الشيخ و أثر كلامه فى قلبه فحسن حاله و صار يؤدى و ظيفته و فكت سلاسله و أغلاله فصار يحافظ على الصلوات الخمس ، و يبكى خوفا من الله و من رآه شهد

بأنه ولى من أولياء الله .

و لم يزل الشيخ و رفقتــه ينتقلون من سجن إلى سجن و من محبس إلى محبس ، حتى وصلوا الثامن من ديسمبر سنة ١٨٦٥م إلى بورت بلير من جزائر إندمان و مات الشيخ هنا بعد عامين قضاهما فى عبادة و دين و دعوة الخلق إلى الله ، و كان ذلك لعشرين من فبرائر سنة ١٨٦٨م .

أما الشيخ محمد جعفر فقد صدر الحكم بالعفو عنه و إطلاقه فى الثانى و العشرين من يناير سنة ١٨٨٣م بعد ما لبث فى السجن ثمانية عشر عاما .

(من « نفحات القرن الأول » للمؤلف)

الشيخ عبد العزيز الدهلوى

الشيخ الامام العالم الكبير العلامة المحدث عبد العزيز بن ولى الله بن عبــد الرحيم العمرى الدهلوى سيد

علمائنا فى زمانه و ابن سيدهم ، لقبه بعضهم سراج الهند و بعضهم حجة الله .

ولد ليلة الخميس لخمس ليال بقين من رمضان سنة ١١٥٩هـ ، حفظ القرآن و أخذ العلم عن والده فقرأ عليه بعضا و سمع بعضا آخر بالتحقيق والدراية و الفحص ، حتى حصلت له ملكة راسخة فى العلوم ، و لما توفى أبوه إلى جوار رحمة الله تعالى و رضوانه و له ست عشرة سنة أخذ عن الشيخ نور الله البرهانوى و الشيخ محمد أمين الكشميرى ، و أجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتى و كانوا من أجلة أصحاب والده فاستفاد منهم ما فاته على أبيه .

كان رحمه الله أحد أفراد الدنيا بفضله و آدابه و علمه و ذكائه و فهمه و سرعة حفظه ، إشتغل بالدرس و الافادة و له خمس عشرة سنة فدرس وأفاد حتى صار فى الهند العلم المفرد ، و تخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء و تهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء ، هذا و قد اعترته الأمراض المؤلمة و هو ابن

خمس و عشرين فأدت إلى المراق و الجـذام و البرص
و العمى و نحو ذلك حتى عـد منها أربعة عشر مرضا
مفجعا ، و من ذلك السبب فوض تولية التدريس فى
مدرسته إلى صنويه رفيع الدين و عبد القادر ، و مع ذلك
كان يدرس بنفسه النفيسة أيضاً و يصنف و يفتى و يعظ .
و مواعظه كانت مقصورة على حقـائق التنزيل فى كل
أسبوع يوم الثلاثاء ، و كان فى آخر عمره لا يقـدر
أن يقعد فى مجلس ساعة فيمشى بين مدرستيه القديمة
و الجديدة ، و يشتغل عليه خلق كثير فى ذلك الوقت
فيدرس و يفتى و يرشد النـاس إلى طريق الحق ، وكذلك
يمشى بين العصر و المغرب و يذهب إلى الشـارع الذى
بين المدرسة و بين الجـامع الكبير فيتهـادى بين الرجلين
يمينا و شمالا ، ويترقب الناس قدومه فى الطريق ويستفيدون
منه فى مشكلاتهم ، و من الأمراض المؤلمـة فقدان
الاشتهاء إلى حـد يقضى أياما و ليـالى لا يذوق طعم
الغذاء حتى صار الأكل غباً بطريق النوبة كالحمى .

و كان مع هـذه الأمراض المؤلمـة و الأسقام

المفجعة لطب الطبع حسن المحاضرة جميل المذاكرة فصيح المنطق مليح الكلام ذا تواضع وبشاشة و تودد . لايمكن الاحاطة بوصفه ، و مجالسته هى نزهة الأذهان و العقول بما لديه من الأخبار التى تنشف الأسماع و الأشعار المهذبة للطباع و الحكايات عن الأقطار البعيدة و أهلها و عجائبها بحيث يظن السامع أنه قد عرفها بالشهادة ، و لم يكن الأمر كذلك فانه لم يعرف غير كلكته و لكنه كان باهر الذكاء قوى التصور كثير البحث عن الحقائق فاستفاد ذلك بوفود أهل الأقطار البعيدة إلى حضرة دهلى ، ولأنه قد صنف الناس فى الأخبار مصنفات يستفيد بها مما يقرب من المشاهدة .

و كان الناس يقصدونه ليستفيدوا من علمه و الأدباء ليأخذوا من أدبه و يعرضوا عليه أشعارهم ، و المحاويج يأتونه ليشفع لهم عند أرباب الدنيا و يواسيهم بما يمكنه . و كرمه كلمة إجماع ، و المرضى يلوذون به لمداواتهم ، وأهل الجذب و السلوك يأتونه ليقتبسوا من أشعة أنواره ، وغرباء الديار من أهل العلم و الصلاح ينزلهم و يحسن مثواهم

و يفضل عليهم بما يحتاجون إليه ، و يسعى فى قضاء أغراضهم و نيل مطالبهم ، و إذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له فى المسائل الدينية بعض شقاق جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء و النار و يجمع بين النصب و النون فلا يفارقه إلا و هو عنه راض .

قال الشيخ محسن بن يحيي الترهتى فى (اليانع الجنى) إنه قد بلغ من الكمال و الشهرة بحيث ترى الناس فى مدن أقطار الهند ، يفتخرون باعتزائهم إليه بل بانسلاكهم فى سمط من ينتمى إلى أصحابه .

قال و من سجاياه الفاضلة الجميلة التى لا يدانيه فيها عامة أهل زمانه قوة عارضته ، لم يناضل أحدا الا أصاب غرضه و اصمى رميته و أحرز خصله و من ذلك براعته فى تحسين العبارة و تحبيرها و التأنق فيها و تحريرها حتى عده أقرانه مقدما من بين حلبة رهانه ، و سلموا له قصبات السبق فى ميدانه ، ومنها فراسته التى أقدره الله بها على تأويل الرؤيا فكان لا يعبر شيئا منها إلا جاءت كما أخبر به كأنما قد رآها ، و هذا لا يكون إلا لأصحاب النفوس

الزاكيات المطهرة عن أدناس الشهوات الردية و أرجاسها وكم له من خصال محمودة و فضائل مشهودة ، و جملة القول فيه أن الله تبارك و تعالى قد جمع فيه من صنوف الفضل و شتاته التى فرقها بين أبناء عصره فى أرضه ما لورآه الشاعر الذى يقول :

و لم أر أمثال الرجال تفاوتا

لدى المجد حتى عد ألف بواحد

استبان له مثل ضوء النهار أنه و إن كان عنده أنه قد بالغ فيه فانه قد قصر ، فكيف الظن بأمثالى أن يحسن عد مفاخره التى أكثر من حصى الحصباء و من نجوم السماء ، انتهى :

و كان طويل القامة نحيف البدن أسمر اللون أنجل العينين كث اللحية ، و كان يكتب النسخ و الرقاع بغاية الجودة ، و كانت له مهارة فى الرمى و الفروسية والموسيقى

و للشيخ عبد العزيز مؤلفات كلها مقبولة عند العلماء محبوبة إليهم يتنافسون فيها و يحتجون بترجيحاته وهو حقيق بذلك ، و فى عبارته قوة و فصاحة و سلاسة تعشقها

الأسماع و تلذ بها القلوب ، و الكلامه وقع فى الأذهان قل أن يمعن فى مطالعته من له فهم فيبقى على التقايد بعد ذلك ، و إذا رأى كلا ما متهافتاً زيفه و مزقه بعبارات عذبة حلوة .

و أما مصنفاته فأشهرها تفسير القرآن المسمى بفتح العزيز صنفه فى شدة المرض و لحوق الضعف إملاءاً و هو فى مجلدات كبار و لكنها ضاع معظمها فى ثورة الهند وما بقى منها إلا مجلدان من أول و آخر ، و منها الفتاوى فى المسائل المشكلة و منها (تحفة اثنا عشرية) فى الكلام على مذهب الشيعة كتاب لم يسبق مثله ، و منها كتابه بستان المحدثين و هو فهرس كتب الحديث و تراجم أهلها ببسط و تفصيل و لكنه لم يتم ، و منها (العجالة النافعة) رسالة له بالفارسية فى أصول الحديث و له غير ذلك من الرسائل .

و أما مصنفاته فى المنطق و الحكمة فمنها حاشية على (مير زاهد رساله) و حاشية على (مير زاهد ملا جلال) و حاشية على (مير زاهد شرح المواقف) و حاشية على

(حاشية ملا كوسج) المعروفة بالعزيزية ، و حاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازى .

و له شرح على أرجوزة الأصمعى و له مراسلات إلى العلماء و الأدباء و تخميس نفيس على قصيدتى والده البائية و الهمزية .

و كان نسيج وحده فى النظم و النثر و قوة التحرير وغزارة الاملاء و جزالة التعبير ، و كلامه عفو الساعة و فيض القريحة ، و مسارعة القلم و مسابقه اليد .

توفى بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة ١٢٣٩هـ و له ثمانون سنة ، و قبره بدهلى عند قبر والده خارج البلدة .

« نزهة الخواطر » للشيخ عبد الحى الحسنى ج

دار العلوم ديو بند

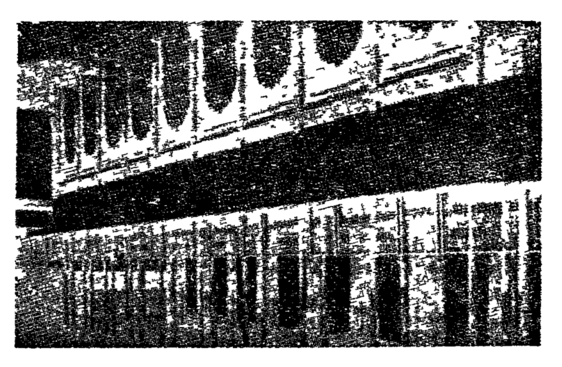
و مدرسه مظاهر العلوم

(١)

إنقرضت دولة المسلمين فى الهنــــد و رسخت قدم الاكليز فى أرضها سنة ١٨٥٧م فانبث القسوس و الأحبار فى القرى و المدن يدعون الناس إلى النصرانية ويناظرون علماء المسلمين بسلطان دولتهم و يغرسون فى قلوب العامة الشك والزيغ ، وقام بعض المسلمين الذين دخلهم الرعب يدعون إلى تعلم اللغة الانكليزية و آدابها على علاتها ، و يرون فى ذلك دواءاً لكل داء ، و تدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية و محاكاة سادة البلاد فى كثير من أخلاقهم و أساليب حياتهم ، فكان المسلمون بين خطرين خطر الارتداد و خطر الالحاد .

و كانت المدارس الدينية و حلقات التــدريس التى

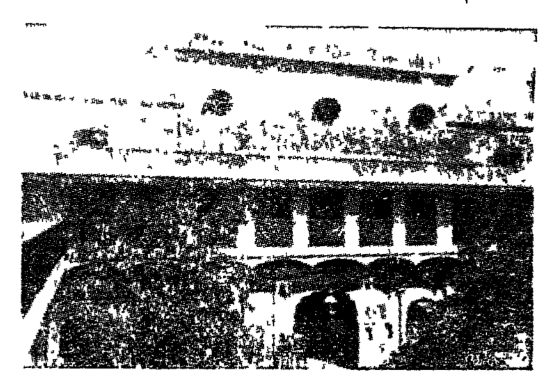
تخرج منها أئمة و علماء كبار فى احتضار تلفظ نفسها الأخير لعـــدم حماية الدولة و قلة رغبـــة النـاس فى العلوم الدينية ، و كان كلما تعطلت مدرسة لم تخلفها مدرسة ، و كلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه آخر ، والمدارس الرسمية تزداد كل يوم عدداً وتتمتع بحماية الدولة ومساعدة الجمهور .



دار الحديث لدار العلوم ديوبند

هذا و قد نشط دعاة البدع و الخرافات والمحترفون الذين و انتشروا فى القرى و المدن يدعون إلى رسوم

الجاهلية و المحدثات ، و يأكلون أموال الناس بالباطل و يصدون عن سبيل الله ، و يضللون العلماء الأخيا و يكفرونهم .



دار الحديث مظاهر العلوم و بابها

خاف علماء الحق على الدين و على علوم الدين و خافوا على مستقبل الاسلام فى بلاد الهند بعد زوال دولته و حلول دولة الكفار و رأوا أنهم لا تنجده دولة . و لا تحميهم قوة ، و لا يملكون أموالا ينفقونها لا مناصب و وظائف يجذبون الناس إليها ، و إنما

مستضعفون فى الأرض ، فقراء ، ثروتهم العلم ، و رأس مالهم الدين ، و زادهم التوكل ، و سلاحهم الاخلاص ، فقاموا و قالوا نبنى معقلا للدين تأوى إليـــه الشريعة الاسلامية و تلجأ إليها العلوم الدينية .

فى قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن پور فى مسجد صغير اجتمعت عصابة من أهل الغيرة و الفراسة من العلماء الربانيين أكثرهم من تلاميذ بيت الامام ولى الله الدهلوى و أصحاب الشيخ الكبير امداد الله التهانوى المكى على رأسهم الشيخ الكبير مولانا محمد قاسم النانوتوى (م ١٢٩٨هـ) و أسسوا تحت شجرة رمان هنالك مـــدرسة دينيـــة ، كان ذلك سنة ١٢٨٣ للهجرة النبوية .

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هو الملا محمود الديوبندى و تلميذ واحد و هو الشيخ محمود حسن الديوبندى ، فكان يوما مشهوداً محموداً فى تاريخ الهند الدينى .

بدأت المدرسة باعانة فقراء المسلمين وعامتهم ورزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين و أساتذة خاشعين

متقين ، قد تولى الاشراف على شؤنها أمثال العالم الربانى الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الگنگوهى و الشيخ رفيع الدين الديوبندى ، و المصلح الجليل و المؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوى ، و تولى رئاسة التدريس فيها أمثال الشيخ الصالح مولانا محمد يعقوب النانوتوى و العالم الربانى الشيخ محمود حسن الديوبندى و العالم الضليع الشيخ أنور شاه الكشميرى ، و المجاهد الشهير مولانا حسين أحمد المدنى ، فسرت روح التقوى و الاحتساب و التواضع و الخدمة فى هذه الدار ، فاذا زارها أحد فى دورها الأول حسب أنه فى زاوية عامرة من زوايا الصوفية .

و لم يزل نطاق المدرسة يتسع وصيتها يذيع و شهرة اساتذتها فى الصلاح و التقوى و التبحر فى علم الحديث و الفقه تطير فى العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند من الأقطار الاسلامية الأخرى ، حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمس مأة و ألف و زيادة ، و بلغت ميزانيتها إلى ثلاث مأة ألف و خمسين ألف ربية سنويا .

و يقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم بأكثر من عشرة آلاف و الذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف و الذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كباغستان و أفغانستان و خيوا و بخارا و قازان و روسيا و آذر بائيجان ، والمغرب الأقصى وآسيا الصغرى، و تبت ، و الصين و جزائر بحر الهند ، و الحجاز والعراق و البلاد الشامية و اليمن نحو خمسمائة .

و كان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند و فضل كبير فى محو البدع و إزالة المحدثات و إصلاح العقيدة و الدعوة إلى الدين و اتباع السنة . و مناظرة أهل الضلال والرد عليهم ، وكانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة والدفاع عن الوطن ، و كلمة حق عند سلطان جائر .

و لدار العلوم مكتبة كبيرة تحتوى على مأة ألف كتاب ، كثير منها مكرر للدرس و فيها عدد من الكتب الخطية .

و شعار دار العلوم التمسك بالدين و التصلب فى المذهب و عدم العدول عنه ، و المحافظة على القديم و الدفاع عن السنة ، و الانتصار لرهط الامام ولى الله الدهلوى .

و قد تمسكت بالدرس النظامى على علاته ، و عضت عليه بالنواجذ ، و قد بدأت أخيرا دعوة التغيير و الاصلاح فى منهاج التعليم ، و لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا .

(٢)

و فى نفس سنة ١٢٨٣هـ بعد افتتاح دار العلوم ديوبند ببضعة أشهر افتتح رجال من أهل العلم و الدين (فى مقدمتهم مولانا سعادت على السهارنفورى الفقيه المشهور (م١٢٨٦هـ) من بقية رهط السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد) مدرسة ثانية فى سهارن پور ، وكان مولانا سعادت على يدرس الطلبة فى بيته و كان يتمنى أن تتأسس مدرسة نظامية فى البلد و كثيراً ما كان يتحدث بذلك ، وفى شهر رجب من العام المذكور حقق الله أمنيته فقام رجال من أهل الصلاح و العلم من أصدقائه ومعارفه

فى المدينة و ضواحيها و افتتحوا مدرسة فى حى من أحياء
البلد فى مسجد و ولوا الشيخ سخـاوت على الأنبيتهوى
التـدريس فيها ، و بقى مولانا سعادت على يدرس بعض
الدروس و يشرف على شؤن المـدرسة ، و آل الاشراف
على المدرسة بعد وفاته إلى الشيخ فضل الرحمن قاضى البلد .

و فى شوال فى العام المذكور تولى رئاسة التدريس
الأستاذ الكبير مولانا محمد مظهر النانوتوى ، و به تسمت
المدرسة بمظهر العلوم و زيدت فيها ألف لتنم عن عام
بناء بناية المـدرسة الخاصة بها يعنى عام ١٢٩٣ﻫ على
حساب الجمل ، و انتقلت المدرسة فى المسجد إلى هذه البناية
فى شوال ، و فى اليوم الثامن من هذا الشهر عقد أصحاب
المدرسة حفلة بمناسبة افتتاحها فى بنـايتها الجـديدة خطب
فيها الشيخ الكبير مولانا محمـد قاسم النانوتوى خطبة
رقيقة بليغة استغرقت ثلاث ساعات .

و فى سنة ١٢٩٣ﻫ أيضاً بدأ المحدث الـكبير الشيخ
أحمـد على السهارنفورى صاحب حاشية البخارى الشهيرة
يدرس كتب الحديث فى المدرسة و يشرف على شؤنها ،

و بعد وفاة الشيخين أحمد على و سخاوت على (عام ١٢٩٧ و ١٣٠٢هـ) تداول التدريس فيها مولانا عبد العلى الميرتهى و مولانا حبيب الرحمن بن الشيخ أحمد على حتى تبوأ رئاسة التدريس الشيخ صالح و الأستاذ الكبير مولانا خليل أحمـــد الأنبيتهوى صاحب بذل المجهود سنة ١٣١٤هـ فأخذت المدرسة زخرفها و بلغت أوجها فى كثرة الطلبة و انتشار الصيت و انتظام الدروس .

و فى سنة ١٣٢٦هـ جاء الشيخ محمد يحيى الكاندهلوى من أنجب تلاميذ الشيخ الكبير مولانا رشيد أحمد الگنگوهى و المعروف بذكائه و إبداعه فكان مساعـــداً للشيخ خليل أحمد رحمه الله .

وفى شو ل سنة ١٣٤٤هـ لما رحل الشيخ خليل أحمد إلى الحجاز تولى رئاسة التدريس مولانا عبد الرحمن الكامل فورى و الاشراف على المدرسة مولانا عبد اللطيف السهارنفورى ، و تولى تدريس الحديث فيها تلميذ الشيخ خليل أحمد البارع مولانا محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى صاحب أوجزالمسالك .

و لم تزل مدرسة مظاهر العلوم متمتعة من أول يومها بحماية أعلام الهند فى الدين و الصلاح كالعالم الربانى الشيخ رشيد أحمد الكنكوهى و الشيخ أشرف على التهانوى و الشيخ عاشق إلهى الميرتهى و الشيخ محمد الياس الكاندهلوى و الشيخ عبد القادر الرائپورى ، و حازت ثقة المتدينين فكانت تلو معهد ديوبند فى كثرة الطلبة و نبوغ الأساتذة ، و قد خرجت عدداً كبيرا من العلماء الصالحين و الرجال العاملين فى ميادين العلم والدين .

و لعلماء مدرسة مظاهر العلوم آثار جليلة فى شرح كتب الحديث و خدمة هذا الفن الشريف ، من أجلها بذل المجهود فى شرح سنن أبى داوٗد للشيخ خليل أحمد ، و أوجز المسالك فى شرح الموطا للامام مالك للشيخ محمد زكريا الكاندهلوى .

و تمتاز مدرسة مظاهر العلوم و أساتذتها و طلبتها ببساطة فى المعيشة و القناعة بالكفاف و حسن السمت و التواضع و الاقبال الكلى على العلم و الدرس و الاشتغال بخاصة النفس .

من النجوم الى الارض

(١)

درست في المدرسة أمس أن النور يقطع مأة ألف و ستة و ثمانين ميلا فى ثانيـــة ، و أنه يمكن له أن يطوف حول خط الاستواء سبعة أشواط فى أقل من ثانية .

و سمعت أن من النجوم ما لا يصل ضوؤه إلا فى ألفى عام و منها ما لا يصل ضوؤه إلا فى أكثر من ذلك و أن ضوء بعض النجوم منـذ طلعت لا يزال فى طريقه إلى الأرض و لما يصل إليها .

لى غرام شديد بالتاريخ ، لا أزال أطالعه برغبة عظيمة و أتمثله أمام عينى ، كأن الحوادث واقعـــة و الأشخاص أحيـــاء و لا أزال أتاسف على ما فاتنى من مشاهدة الحوادث فى ساعتهـا و من زيارة رجال من عظماء

التاريخ فى ، زمانهم و لم أزل منذ صباى أقول لوالدى و أصدقائى ياليتنى و لدت فى الزمن الماضى فشاهدت كذا و كذا من الوقائع ، و زرت فلانا وفلانا من الرجال ، لقد غاب عنى طوفان نوح ، و محنة إبراهيم ، وخروج بنى إسرائيل ، و سبقتنى بعثة الرسول عليه الصلاة والسلام بأكثر من ألف عام ، و فاتنى عهد الخلافة الراشدة ، و فاتنى حضارة بغداد و عهد قرطبة و غرناطة و فاتنى و فاتنى و فاتنى .

و كنت أعد الحوادث الكبيرة و الرجال العظماء و أقول فى حزن و أسف : لقد تأخرت كثيرا ، فليت الزمان يعود ، و ليت البشر يستأنفون السير ، و ليت العالم يرجع القهقرى ، و ليت التاريخ يرد على أعقابه ، فأشاهد ما مضى و أعاشر من سبق .

و كنت أفكر لو كان أحد فوق نجم لا يصل ضوؤه إلى الأرض إلا فى آلاف أو مآت من السنين لرأى العالم كما كان قبل آلاف أو مآت من السنين ، و كذلك يمكن أن يطالع أهل النجوم أدوار التاريخ

الماضية و يشاهـــدوا الحوادث و الأشخاص فى زمنهم
و فى محلهم .

سررت من ذلك جداً كأنى و جدت ضالتى وعرضت
هذه الفكرة البديعة على معلم الطبيعيات لأنى لا آمن على
نفسى الخطأ

قال المعلم نعم إذا فرضنا أحدا فوق الشمس — و
هى تبعد من الأرض ثلاثة و تسعين مليونا — فان
يرى فى الأرض ما وقع قبل ثمانى ثوان فقط فان ضو
الشمس يصل إلى الأرض فى ثمانى ثوان .

و هكذا نتدرج و نقول من كان فوق النجوم
العاليـــة التى يصل ضوؤهـا إلى الأرض فى آلاف من
السنين لكانوا يرون حوادث قبل التاريخ و ما وقع قبل
آلاف من السنين بعد آلاف من السنين .

لم أزل أفكر فى ارتفاع النجوم و بعـــدها عن
الأرض و مطالعـــة أهلها لما وقع فى الأرض ، حتى
لم أشعر إلا و أنى فى مكان أطالع فيه الأرض بمكرة
كبيرة .

فاذا بى أرى الأرض غير الأرض التى كنت أعرفها و النـاس غير الذين عهدتهم ، أرى المساجد عامرة غاصة بالمصلين ، و أرى الحدود قائمـة و أحكام الشرع نافـــذة و أجيل مكبرتى و أنظر من خلالها فلا أرى فجورا ولا دعارة و لا سكراً و لا قماراً .

و اطلعت على بقعة فيها نخل كثيرة و مسجد بسيط قد غشيته سحابة من النور و البركة ، و عرفت أنها مدينـــة الرسول ﷺ و رأيت بيوتا متواضعة قد بنى أكـثرهـا من اللبن و لـكنى رأيت هنـا لك سفراء الدول الـكبيرة و أبنـاء ملوك قد أسلموا ، فعرفت أن هـذه المدينة الصغيرة مع بساطتها تحكم العـالم و يجبى إليها خراج إيران و رومة .

و بحثت فى هذه المدينة فلم أجد فيها محكمة و لا سجنا فقلت فى نفسى فأين يذهب المتخاصمون و أين يحبس المجرمون ؟ فاذا بى أرى جلا جالسا فى مسجد الرسول ﷺ فى ثياب مرقوعة ألقيت عليه مهابة و جلال ، قد حضر لديه خصمان و رفعا إليه القضية فى بساطة الاعراب ،

و قالا : « خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق و لا تشطط واهدنا إلى سواء الصراط »

سمع الرجل القضية فى هدوء و تأن و قال للمدعى « البينة على من ادعى و اليمين على من أنكر » فهل عندك بينة أو أستحلف الرجل ؟ » و قدم الرجل شهوداً عدولا فقضى له و انفصلت القضية فى ساعة ، و قام الفريقان و رضيا بحكم الشرع ، فقلت : و لا يحتاج هولاء إلى محكمة و محامين .

و رأيت أبواب البيوت فى الليل مفتوحة ، ورأيت بيت المال و قد أتى إليه خراج إيران فى ذلك اليوم ليس له حارس و لا شرطة ، و قد جاء تاج كسرى و هو يساوى مآت آلاف من الدنانير و قد وقع إلى جندى حقير فأداه إلى أمير الجند ، و أرسله أمير الجند إلى الخليفة و جاء بعض السراق و سرقوا فقطعت يدهم ، فقلت لا يحتاج هؤلاء إلى سجن أو محبس .

و أشرفت علىٰ بيوتهم فوجدت معيشة صافية وحياة راضية لا يكدرها حسد و لا بغضاء و لا طمع ولاجشع ،

يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة ، و يهدى جار إلى جار فتدور الهدية على الحى و ترجع إلى صاحبها الأول ، لا يأكل فيهم القوى الضعيف و لا يظلم الكبير منهم الصغير ، يحنو عليهم الخليفة و الأمراء فهم لهم كالآباء و يطيعهم العامة و يوقرونهم و ينصحون لهم فهم لهم كالأبناء ، و يتناصحون بينهم فهم إخوة .

و اطلعت على ثكناتهم — و سمعت أن الجند أفسد الناس أخلاقا و أبعدهم عن الدين و الفضيلة فى كل زمان — فوجدتهم بالليل رهبانا ، لهم دوى كدوى النحل ، و أما بالنهار ففرسان يثقفون القنا و يريشون النبل ، يوفون بالعهد و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر ، لا يأكلون فى ذمتهم إلا بثمن و لا يدخلون إلا بسلام ، و يعفون عن المحارم و يغضون البصر ، فقلت إذا كان الجند فيهم هكذا فكيف بالعباد الزهاد .

قلت لعل هذا دور الخلافة الراشدة ، و صدقت ما قرأت فى التاريخ ، و قلت ذلك قليل من كثير .

من النجوم الى الارض

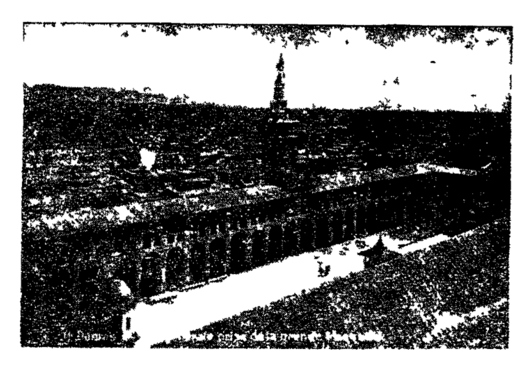
(٢)

و نزلت أسفل من ذلك المكان فرأيت الأمور قد تغيرت و أن العاصمة قد تحولت من المدينة — على ساكنها ألف ألف سلام — إلى دمشق الشام ، فاذا قصور عالية قد علقت على أبوابها ستور جميلة و كسيت جدرانها بثياب فاخرة ، و إذا مساجد شامخة تناطح مناراتها السماء وهى عامرة بالمصلين ، و رأيت فيها حلقات الدرس ومجالس العلم و هى غاصة بطلبة علم الدين ، و الشيوخ يحدثون عن النبى ﷺ و الناس يكتبون و يحفظون .

و رأيت الناس أنواعاً منهم الزهاد و العباد و طلبة العلم و منهم المترفون ، و رأيت آثار الحرية و الترف و رأيت الناس طبقات فى الغنى و الثروة و الجاه والشرف ، فهذا ابن الخليفة فى زهوه و خيلائه ، و ذلك عامل العراق

فى خدمه و حشمه ، و هذا سوقى و ذلك شريف .

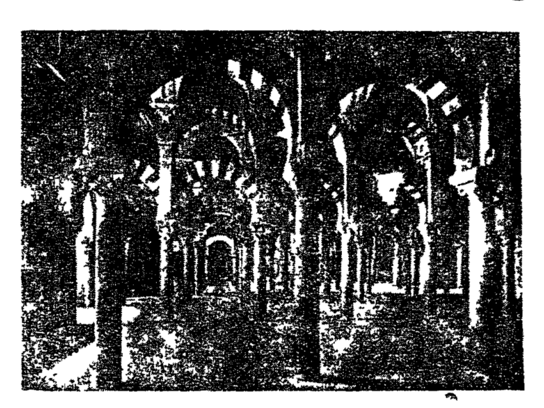
و رأيت بعض الحدود قائمة و بعض أحكام الشرع نافذة ، و رأيت العلماء و أهل الدين يحتسبون على الناس متطوعين فيخضعون لهم و يستسلمون و رأيت الناس غير مجاهرين بالفسق ، غير مصرين على المعصية يحتشمون أهل الدين و العلم .



منظر عمومى لدمشق الشام

و رأيت الخليفة و الأمير مع ترفه يصلى بالناس و يخطب فيهم و يجلس لهم و رأيت مدنية عربية فالخلفاء

يصلون الشعراء بجوائز كبيرة ، و ينحرون جزورا و يطعمون الناس ، و رأيت دولة المسلمين قـــد اتسعت حتى امتدت إلى حدود الهند فى جانب ، و إلى ساحل البحر الاطلانتيكى فى جانب آخر لا تقطع فى أقل من خمسة أشهر على أسرع جمل .



ناحية من نواحى جامع أندلس قرطبة

فقلت لعل هـــذا عصر الأمويين و لعلى فى نهاية القرن الأول .

ثم انحدرت إلى أسفل ، فرأيت مدينة حديثة على ضفتى دجلة و رأيت مدنيـــة خليطا ، فيها صور عربية و فيها صور عجمية ، و الناس أخلاطا فيهم العرب و فيهم الفرس و فيهم أهل الهند و كثير منهم الترك ، و رأيت قصر الخليفة مثل قصور ملوك العجم يحرسه الترك ، و كذلك قصور الوزراء و الأمراء ، و رأيتهم يخرجون فى موا كب ملوكية فى أبهة عظيمة .

و رأيت بعض الناس يربون الحمام و يشترونه بأثمان غالية و يتهارشون بالديوك و الكلاب ، و رأيت أنواع اللهو و اللعب ، فقلت جاء هــذا من كثرة الأموال و اختلاط الأعاجم .

و رأيت القضاة و قاضى القضاة قد ازدحم عليـــه المتظلمون و هو يقضى بينهم و قد تأخذ قضية أياما ، و رأيت السجون قـــد غصت بالمجرمين و اللصوص و الشطار .

و رأيت كذلك مساجد مزدحمة بالمصلين ، ومدارس غاصة بطلبة علوم الدين ، و مجالس الوعظ عامرة بالمستمعين ،

و رأيت النـاس يجزون نواصيهم و يخرون مغشيا عليهم و يتوبون عن المنكرات ، و يسلم كثير من أهل الذمـة كل جمعة ، فقلت إن النـاس لم يفقدوا قلوبهم و إن الدين لا يزال له سلطان على القلب و الروح .



شارع الرشيد و جامع مرجان فى بغداد

و رأيت كذلك رجالا منقطعين عن الدنيا معرضين عن الملوك و جوائزهم و صلاتهم ، يأتى إليهم النـاس من خراسان و الهند و إيران و يستفيدون ، و تأتيهم الدنيا راغمـة و يأتيهم الملوك و الأمراء صاغرين ، فرأيت دولة دينـية تزاحم الدولة المـادية و تفوقها فى العزة و السلطان .

و رأيت أكبر دولة على وجــه الأرض ينظر ملكها أو الخليفة ــ كما يقول الناس فى تلك البلاد ــ إلى سحــابة فيقـول « أمطرى حيث شئت فـيـأتينى خراجك ».

فقلت هذه بغداد عاصمة الدولة العباسية و لعلى فى القرن الثالث .

و حانت منى التفاته إلى خليج جبل الطارق فرأيت على ضفته مدينة زاخرة العمران شامخة البنيـان ، و رأيت فيها قصورا متسقة و حدائق متناسبة و شوارع مرصوفة و عيونا متـدفقـة و جسوراً منصوبة و مساجـد مزخرفـة و مدارس مشيدة فتـذكرت ما قرأت فى التـاريخ عن مدينة قرطبة و عرفت أن مساحتهـا ستة عشر ميلا فى الطول ، و ستة أميال فى العرض ، و أن فيها مــأة ألف و ثلاثة عشر ألفا من القصور و المنـازل و ثمانون ألفـا واربع مأة من الدكاكين ، و سبع مــأة من المساجد وتسع مأة حمام ، وأربعة آلاف وثلاث مأة مخزن ، وإحصاء المدينة يربو على مليون .

و رأيت فى المدينة متنزهات فسيحة و حدائق ذات بهجة ، و طرقا وشوارع مبلطة بالحجر ، و سرادقات منصوبة يأوى إليها الغرباء و الباعة و السابلة فى الحر و الشمس ، و رأيت الأسواق مشحونة بالمتاجر و السلع الغالية التى جلبت من بلاد بعيدة ، و رأيت رباطات للجوابين و التجار .

و رأيت بجنب مدينة قرطبة مدينة صغيرة ما رأيت أجمل منها على وجه الأرض فقلت لعلها مدينة الزهراء المعروف فى التاريخ ، و أنا فى القرن الرابع ، و هذه أيام ملك الأندلس عبد الرحمن الناصر أو ابنه حكم الثانى .

من النجوم الى الارض

(٣)

و صرفت نظرى من الغرب إلى الشرق ، فرأيت دولة قوية واسعة قاعدتها نيسابور تحكم خراسان و العراق

و إيران ، و يتحكم ملوكها فى بغداد و ينصبون و يعزلون ، و يغزو ملكها ألب أرسلان الأفرنج فى ديارهم و يأسر ملكهم النصرانى و يضرب عليهم الجزية و قد بلغت هذه الدولة أوجها فى عهد ملك شاه و وزيره الفاضل نظام الملك الطوسى فرأيت المدرسة النظامية فى بغداد عامرة آهلة يدرس فيها مثل الامام أبى حامد الغزالى ، و تنفق عليها الدولة السلجوقية ، و رأيت شقيقتها المدرسة النظامية فى نيسابور يدرس فيها مثل إمام الحرمين الجوينى ، فقررت بذلك عينا ، و دعوت للدولة السلجوقية و ملكها و وزيرها .

و مالبثت أن رأيت الأفرنج يحملون الصلبان ويغيرون على البلاد الاسلامية ، و رأيتهم من كل حدب ينسلون ، و قد جن جنونهم حتى سافر ألوف من الأطفال والغلمان من بلاد الأفرنج ليفتحوا القدس ، و قد غرق أكثرهم فى الطريق و ماتوا ، و رأيت ملوك أوربا قد تحالفوا على ذلك وتدفقت من أوربا جنود من الصليبين حتى أخذوا القدس و و ضعوا فى المسلمين السيف حتى سالت بدمائهم

سكك مدينة القدس و زلقت فيها الخيل ، و أخذو أكثر مدن سورية و فلسطين و هددوا مصر و العراق وطمعوا فى الحجاز ، و بلغت بهم الجراءة و الوقاحة أن حلف منهم أمير على إهانة الجسد الطاهر الدفين فى المدينة عليه ألف ألف سلام .

رأيت كل ذلك و التفت إلى الدولة السلجوقية فى نيسابور و قلت أين ملوكها الذين كانوا يغزون الأفرنج و يهزمونهم مرة بعد أخرى فاذا هى قد انقرضت سنة ٥٣٢هـ و التفت إلى المسلمين فرأيتهم فى لهو ولعب ، و فى غزو و نهب ، بأسهم بينهم شديد .

و رأيت الناس و الملوك و الوزراء و العلماء فى شغل عن الأفرنج نخفت على الاسلام و قلت على الدين السلام .

و إذا بالسلطان نور الدين الزنكى و السلطان صلاح الدين الأيوبى و قد نزلا بالأفرنج و قارعاهم قراعا شديدا ، و لم يزل صلاح الدين يضرب الحديد بالحديد حتى هزم الأفرنج فى طبرية شر هزيمة ، و دعا بالبرنس الذى

حلف على إهانة جسد رسول الله ﷺ و ضرب رأسه بيده قائلا ، اليوم أنتصر لمحمد ﷺ

و انتزع القدس و المدن الشامية من أيدى النصارى و بيض وجه المسلمين فى العالم ، و كان فتحا تضاءلت أمامه الفتوح و أثنى عليــه الملائكة و الروح ، و قال قائل من المسلمين .

هذا الذى كانت الآيام تنتظر
فليوف لله أقوام بمـــا نذروا

ثم انحدرت إلى أسفل فرأيت أن بغـداد التى زرتهـا قبل دقائق قد زحف إليها جراد من التتر نخربها تخريبا و فجروا من دماء أهلها أنهاراً ، و رفعوا من رؤسهم منارا ، و قتلوا الخليفة المستعصم شر قتلة ، و رموا بالكتب النفيسة فى ماء دجلة فاسود تارة بسـوادهـا و احمر تارة بدماء أهلها ، و لولا أنى أعرف مكانهـا على شـاطئ دجلة لأنكرت هيئتها و لم أعد أعرفها .

و رأيت التتر جراداً منتشراً فى العالم الاسلامى وقد خربوا المدن الاسلامية الكبرى و عواصم الشرق . نقضوا

بناياتها و خربوا مساجـــدها ، و أحرقوا دورهـــا ، و ذبحوا أهلها ، ومزقوا دولة خوارزم شاه فى خراسان وقضوا على الخلافـــة العباسية فى العراق ، و استشعر المسلمون الخوف و الجبن حتى صاروا لايصدقون بهزيمة التتر ، و اشتهر على ألسنتهم : إذا قيل لك إن التتر انهزموا فلا تصدق .

و خفت على الاسلام مرة ثانية و قلت لعل هذه آخر ساعة من ساعاته ، و إذابى أرى التتر يدخلون فى الاسلام أفواجا ، و إذا بفاتح المسلمين يعود مفتوحا للاسلام فعرفت أن هذا الدين خالد ، و أنه يقهر كل قاهر .

و لكن ضعف أمر المسلمين ، و ساد الجمود والخمود فى أنحاء العالم الاسلامى و لم أر شيئا يقر العين و يشرح الصدر و يبعث الأمل فى النفس إلا أنى رأيت فى آسيا الصغرى جمرة من حياة ، و آية من نشاط قد أسس الغازى عثمان خان دولة مستقلة ، و كانت لهـــذه الدولة الفتاة مستقبل عظيم ، و قد فتح شبلها الغازى محمد الثانى القسطنطينية عاصمة العالم النصرانى سنة ٨٥٨ هـ اتخـــذهـــا قاعدة ملكه ، و خلفه ملوك عظام توغلوا فى أوربا وقهروا الأمم النصرانية .

هنالك التفت إلى بلاد الأندلس مرة ثانية . فرأيت قرطبة و ما جاورها من البلدان الاسلامية قد خرجت من أيدى المسلمين ، و إذا المساجد قد عادت كنائس للنصارى ، يرن فيها الناقوس ، و إذا وجوه عربية و دين نصرانى ، وحضارة شبه عربية ، و حياة جاهلية ، فاسترجعت و بكيت .

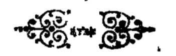
و سرحت طرفى فى جزيرة الأندلس فرأيت غرناطة العربية الاسلامية كأنها جزيرة الاسلام فى بحر الكفر و الظلمات ، و مالبثت أن غمرها الماء أيضاً و استولى عليها الملك النصرانى « فردنند » و ملكتها إزابلا و رأيت أبا عبد الله آخر ملوك بنى الأحمر يسلمها مفاتيح ملكه و يلقى على غرناطة و قصر الحمراء نظرة الوداع ، و يبكى و يرحل إلى مراكش .

و مالبثت أن رأيت البلاد الأندلسية الاسلامية تحول نصرانية ، و الأمة العربية تجبر على الارتداد ، رأيت مساجد تهدم أو تحول كنائس ، و مدارس تعطل و مكاتب تحرق و قبورا تنسف و أجساداً تنبش وأحياءاً يحرقون ويشنقون ،

و مالبثت البلاد التى حكم فيها الاسلام ثمانية قرون أن أصبحت نصرانية ليس فيها أحد يلفظ بكلمة الاسلام ، و يؤمن بمحمد عليه السلام .

راعنى هذا المنظر و فزعت منه فاذا أنا على فراشى و قلت لعل الله أراد بى خيراً فقد أرانى أطوار العالم الاسلامى و ألوان المسلمين ، أرانى عهد الخلافة الراشدة ثم أرانى انحطاط المسلمين ، و أرانى كيف يسلم الكافر و يخضع القاهر ، و كيف يرتد المسلم وتتنصر البلاد الاسلامية بغفلة المسلمين و سوء سيرتهم .

و قمت و قد آليت على نفسى أن أكون جنديا للاسلام مرابطا على ثغوره ، و أن لاتعود حادثة الأندلس فى العالم الاسلامى .



رثاء الاندلس

لكل شئ إذا ما تم نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان
هي الأمور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان
وهــذه الدار لاتبقي على أحد
ولايدوم على حال لهــا شان
فجــائع الدهر أنواع منوعــة
وللزمان مسرات وأحزان
وللحوادث سلوان يسهلهــا
وما لمــا حل بالاسلام سلوان
دهى الجزيرة أمر لاعزاء لهــا
اهوى له أحد وانهــد ثهلان
أصابها العين فى الاسلام فارتزأت
حتى خلت منه أقطــار وبلدان

فاسأل بلنسية ما شان مرسية
و أين شاطبة أم أين جيان
و أين قرطبة دار العلوم فكم
من عالم قد نما فيها له شان
و أين حمص وماتحويه من نزه
ونهرها العذب فياض وملآن
تبكى الحنيفية البيضاء من أسف
كما بكى لفراق الالف هيمان
على ديار من الاسلام خالية
قد أقفرت ولها بالكفر عمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما
فيهن إلا نواقيس و صلبان
حتى المحاريب تبكى و هى جامدة
حتى المنابر ترثى و هى عيدان
وماشيا مرحا يلهيه موطنه
بعد حمص تغر المرء أوطان

تلك المصيبة أنست ما تقدمها
و ما لها مع طول الدهر نسيان

أعندكم نبأ من أهل أندلس
فقد سرى بحديث القوم ركبان

كم يستغيث بنا المستضعفون و هم
قتلى و أسرى فما يهتز إنسان

ما ذا التقاطع فى الاسلام بينكم
و أنتم يا عباد الله إخوان

ألا نفوس أبيات لها همم
أما على الخير أنصار و أعوان

يامن لذلة قوم بعد عزهم
أحال حولهم جور و طغيان

بالأمس كانوا ملوكا فى منازلهم
و اليوم هم فى بلاد الكفر عبدان

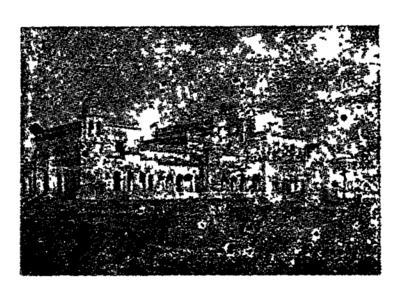
فلو تراهم حيارى لا دليل لهم
عليهم فى ثياب الذل ألوان

و لو رأيت بكاهم عند بيعتهم
لهالك الأمر و استهوتك أحزان
يا رب أم و طفل حيل بينهما
كما تفرق أرواح و أبدان
وطفلة مثل حسن الشمس إذ طلعت
كأنما هى ياقوت و مرجان
يقودها العلج للمكروه مكرهة
و العين باكية و القلب حيران
لمثل هذا يذوب القلب من كمد
إن كان فى القلب إسلام و إيمان
(صالح بن شريف الرندى)

ندوة العلماء

صارت قيادة المسلمين فى القرون المتأخرة إلى أناس لم يكونوا جامعين بين الدين ، و الدنيا فحدث فى الاسلام

بدعة فصل الدين و الدنيا ، فاستبد الملوك بدنياهم و انقطع العلماء بدينهم ، و بقى العامة لا قائد لهم و لا رائد ، و صار الاسلام كالنصرانية ، عرش و كنيسة و لكل رجال ، وقيصر و الاله و لكل نصيب ، و لكن عرش بدون قوائم ، و كنيسة بغير حراس .



مدرسة دار العلوم ندوة العلماء

و لما طال بعد العلماء عن الحياة صاروا أجانب عن الحياة و عن الدين و عن السياسة ، حتى إذا تدخلوا فى شأن من شؤونها كان ذلك حجة لأهل الدنيا على

أهل الدين ، لعدم خبرة العلماء و قلة مهارتهم فى شؤن الحياة و علوم العصر .

و تشاغل العلماء بعلوم ليس لها دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة ، و بمسائل لا تجدى نفعا ، و تشاغلوا فى الزمن الأخير بالجدل و الشقاق و التكفير و التضليل . و صاروا يجاهدون فى غير جهاد ، و يحسبون أنهم يحسنون صنعا فكم سالت دماء و كم جرت محاكمات لأجل مسائل فقهية فى محاكم الكفار ، و كم وقع من إهانات ذلت لها رقبة المسلمين فى الهند .

استولت أوربا على الأرض ، و كانت كما وصف الله سبحانه و تعالى (من كل حدب ينسلون) فهجمت على الاسلام من طريق العقل و النقل و الفلسفة و الحكمة و التاريخ و الأدب ، و من طريق السياسة و باسم الحضارة و الثقافة ، و عجزت الآلات التى حارب بها أسلافنا علوم اليونان عن مقاومة العلوم الغربية ، فاقتضى الحال أن يجدد علماء الاسلام آلات الدفاع عن الاسلام ، و يحدثوا آلات أخرى للهجوم على العدو .

هذا ، و المسلمون فى الهند بين طائفتين ، طائفة قد آمنت بالعلوم الغربية بالغيب و آمنت بعصمة الغربيين فى علومهم و بسيادتهم و إمامتهم فى كل شئ ، و دعت إلى قبول نظامهم فى التعليم على علاته . و طائفة قد آمنت بعصمة العلماء المتأخرين فى منهاج درسهم وترتيبهم للكتب ، لايرون عنه بدلا و لايجدون عنه محيصا ، و يرون العدول عنه فى شئ ضربا من التحريف و نوعا من البدع ، فكاد الدين و كاد العلم يضيع بين جاحد و جامد .

أدرك هذا الخطر رجال من أهل الدين المتين و العلم الراسخ و النظر الثاقب ، فى مقدمتهم العالم الكبير و الشيخ الصالح مولانا السيد محمد على المونكيرى رحمة الله عليه ، و كثير من أصحاب الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مرادآبادى قدس الله سره ، و تلاميذ الأستاذ الكبير مولانا لطف الله العليكرهى ، ينتهى نسبهم العلمى إلى بيت الشيخ ولى الله الدهلوى ، و اجتمعوا و شاوروا فى الأمر ، و كانوا قد اجتمعوا فى حفلة مدرسة فيض عام فى كانفور

التى أسسها المفتى عنايت أحمد (م ١٢٧٩هـ) أستاذ الشيخ لطف الله .

اجتمعوا فى هذه الحفلة سنة ١٣١٠هـ و بحثوا فى مسائل التعليم الدينى و مستقبل المدارس العربية و شؤن المسلمين الاجتماعية و الخلقية . و صحت عزيمتهم على تأسيس جمعية دينية علمية تعنى بمسألة التعليم الدينى و إصلاح المسلمين الاجتماعى الخلقى ، و الجمع بين طبقات المسلمين عامة و طبقات العلماء و أحزابهم خاصة .

أسس هؤلاء العلماء — و هم نخبة علماء الهند — جمعية باسم « ندوة العلماء » ، و عقدوا حفلتها الأولى فى كانفور سنة ١٣١١هـ تحت رئاسة الأستاذ الأكبر الشيخ لطف الله العليگرهى ، و أرسلوا دعوتهم إلى جمع كلمة العلماء و رفع الشقاق و النزاع من بينهم ، و إصلاح المدارس القديمة و التغيير اللائق فى منهاج المدارس .

اجتهد أعضاء الندوة فى ذلك و اجتمعوا و تشاوروا و كاتبوا وراسلوا وخطبوا و كتبوا فى هذا الموضوع ، ولكن

علموا بعد الاختبار أن ذلك لا يتم إلا إذا أسسوا مدرسة خاصة تكون مثلا عمليا للمدارس الأخرى .

فأسسوا فى لكهنؤ عاصمة الولايات المتحدة فى الهند — على دعوة السرى المخلص الشيخ أطهر على الكاكورى (م١٣٢٦هـ) دفين البقيع — مدرسة دينية عربيـــة هى دار العلوم التـابعة لندوة العلماء ، و كان ذلك سنة ١٣١٢هـ تولى إدارتها و الاشراف على شؤن مدرستها رجال يمتازون بمتانة فى الدين مع تسامح فى الخلافيات و الفروع ، ورسوخ فى علوم الدين مع إطلاع واسع على شؤن العصر ، و محافظة على الشرع و التقوى مع حب الجمع بين طبقات الأمـــة ، و هم من بيوتات علم و دين ' فكان مولانا السيد محمـــد على المونكيرى (م١٣٤٦هـ) خليفة الشيخ الكبير مولانا فضل رحمن الكنج مرادآبادى أول مدير لندوة العلماء و خلفه مولانا مسيح الزمان الشاه جهان پورى (م١٣٢١هـ) أستاذ سمو نظـام حيدر آباد السابق : و خلفه مولانا خليل الرحمن السهارنپورى (م١٣٥٥هـ) ابن المحـــدث الكبير مولانا أحمـد على السهارنپورى صاحب حاشية البخارى ،

وخلفه مولانا السيد عبد الحى الحسنى (م١٣٤٢هـ) صاحب نزهة الخواطر و المؤلفات العربية الجليلة من بيت السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد ، و خلفه مولانا السيد على حسن خان (م١٣٥٥هـ) نجل الأمير المؤلف الكبير السيد صديق حسن خان ملك بهوپال ، و خلفه الأستاذ الدكتور السيد عبد العلى الحسنى نجل مولانا السيد عبد الحى مدير ندوة العلماء الأسبق .

و كان الاشراف على شؤنها التعليمية إلى الأستاذ الكبير و المؤرخ الشهير الشيخ شبلى النعمانى (م١٣٣٢هـ) ثم إلى تلميذه النابغ الأستاذ السيد سليمان الندوى .

تمتعت الندوة بحماية كبار الصالحين و رجال العلم و الدين من أول يومها ، كمولانا ظهور الاسلام الفتح پورى ، و مولانا نور محمد الپنجابى ومولانا تجمل حسين البهارى من كبار أصحاب الشيخ سليمان الپهلواروى ، والسرى الفاضل مولانا حبيب الرحمن الشروانى رئيس الشؤن الدينية فى إمارة حيدر آباد سابقا من أقدم أعضاء الندوة و من كبار حماتها ، و الشيخ رحيم بخش وصى إمارة

بهاول پور سابقا ، و العلامة عبد الحق الحقانی صاحب التفسیر المشهور ، والشیخ سلیمان المنصورفوری ، والمنشی احتشام علی الکا کوروی وغیرهم .

و تولی التدریس فی دار العلوم علماء کبار من مشاهیر علماء الهند و خارجها ، کالشیخ محمـــد فاروق الچریا کوتی و الشیخ عبد الله التونکی و الشیخ محمد طیب المـکی والشیخ شیر علی الحیدر آبادی و الشیخ محمد بن الحسین الیمانی و الشیخ أمیر علی اللـکهنوی ، و الشیخ حفیظ الله البندولی ، و الشیخ شبلی الأعظمی ، والشیخ حیدر حسین خان التونکی ، و الشیخ تقی الدین الهلالی المراکشی .

تأسست ندوة العلماء علی مبدأ التغییر والاصلاح فی نظام التعلیم الدینی و فی منهاج الدرس العربی ، فحـــذفت و زادت و غیرت و أصلحت فی منهاج التعلیم .

حذفت المقدار الزائد من کـتب المنطق والفلسفة الیونانیة التی ضعفت الحاجة إلیها فی هذا العصر ، و أعطت القرآن حقه من العنایة فقررت درس متنه الشریف حرفا حرفا لغة و نحوا و أدباً و اجتماعاً و فقهاً و کلاما ، هـذا

ما عدا التفاسير المقررة فى الصفوف العالية ، و ألزمت تدريس القرآن و الحديث بالتدريج فى سنيها التعليمية .

زادت مقدار دراسة اللغة العربية و آدابها لأن اللغة العربية و الأدب العربى مفتاح كنوز الكتاب و السنة و الرابطة الأدبية فى الشعوب الاسلامية ، و وجهت عنايتها إلى تعليم اللغة العربية كلغة من لغات البشر و كلغة حية يكتب بها و يخطب ، لا كلغة أثرية عتيقة ميتة ، و ألفت لذلك كتبا تساعد على ذلك ، و قد أقر الناس بفضل الندوة فى هذه الناحية .

قررت تدريس اللغة و بعض العلوم العصريه كالجغرافية والتاريخ و العلوم الرياضية و السياسة وعلم الاقتصاد ، ليطلع العلماء على مقتضيات العصر ، و يتسلحوا بالأسلحة الجديدة للدفاع عن الدين .

أنست ما كان بين أهل المذاهب و الطوائف الفقهية كالحنفية و الشافعية و أهل الحديث من المشاجرات ودواعى العصبية و نجحت فى ذلك نجاحا تاما فلا تشم فى دارها رائحة الخلاف و الحقد المذهبى و ترى الطلبة من كل

مذهب إخوانا متقابلين فى قاعـــة درسهم و دار إقامتهم جنبا لجنب .

مبدء الندوة و شعارها أن تخرج من مدرستها رجالا مبشرين بالدين القديم لأهل العصر الجديد ، شارحين الشريعـــة الاسلامية بلغة يفهمها أهل العصر و بأسلوب يستهوى القلوب أمة وسطا بين الجامدين و الجاحدين .

و قد أنجبت فى مدة قليلة رجالا هم خير مثل للعالم المسلم العصرى الذين قد قامت بهم حجة العلوم الاسلامية على أهل العصر الجديد ، و رفعوا رأس علماء الدين عالياً بين طبقات المتعلمين ، و لهـــم آثار جميلة خالدة فى الأدب الاسلامى و علم التوحيد لأهل العصر الجـــديد ، و السيرة النبوية و التاريخ ككتاب سيرة النبي فى ست مجلدات كبار و هى موسوعة إسلامية و أكبر كتاب ألف فى السيرة النبوية و مهمات الدين فى هذا العصر للشيخ سليمان الندوى ، و كتب فى تراجم الصحـــابة و سيرهم للتخرجين من دار العلوم و رسالة قيمة فى الدين و العلوم العقلية للأستاذ عبد البارى الندوى ، إلى غير ذلك من الكتب

و الرسائل .

و قد أنشأ المتخرجون من النـــدوة جمعية دار المصنفين فى أعظم گـڈه و هى من المؤسسات العلمية الـكبيرة فى الهند تصدر مجلة علمية راقية شهرية باسم « معـارف »

و لدار العلوم بناية عظيمة على شاطئ نهر گومتى فى مدينة لكهنؤ ، و مكتبة كبيرة تحتوى على ٥٠ ألف كتـاب أكثرها غير مكرر و ١٨٠٠ من الـكتب الخطية النادرة ودار لاقامة الطلبة و مسجد جميل .

على لسان الندوة

عفى ديار علوم الدين قاطبـــة
نسج الدبور و أرياح جرت نقما
ياللمــــدارس أضحت و هى دارسة
يا للمكاتب تبكى العـــلم و العلما

أما سمعتم بكاها و هى صارخة
صراخ ثكلى على مولودها اخترما

و ارحتاه لأرض الدين ينقصها
ريب المنون ممـدا سيلها العرما

وارحتاه لدين قل عصبته
من كل حام حماه راسخ قدما

وارحتاه لدين قل نادبه
و للرجال و واسيفاه وا قلما

يا للبقيـة صونوا الدين تنتصروا
يصونكم و يرد المجد و الحشما

إنى محذركم من وقع واقعة
يمسى الوليد لديها هيبة هرما

ألا خذوا حـذركم فى كل آونة
فما اتقى النـار إلا كيس حزما

و وثقوا عروة الاسلام أوهنها
تفرق فيكم قد حل مخترما

هذى اختلافاتكم كم شخصت بكم
و سفهت عرب الاسلام و العجما

أليس أكمل هـذا الدين ربكم
أما أتم عليكم فضله النعما
يا ليت شعرى فقيما ذا اختصامكم
و ما الذى بعـده ترضونه حكما
كم ذى الفتاوى و كم تكفير إخوتكم
كم ذا التشـاتم وا ذلاه وا ندما
هذا الذى فـتر الاسلام نهضته
هذا الذى قصر الأعزام و الهمما
الله الله كونوا أصدقاء كما
كانت معاشرة الأسلاف و القدما
الله الله إن كنتم لهم خلفا
فتابعوهم مع الاحسان لا جرما
و ثقفوا أود الأحداث تربيـة
و علموهم علوم الدين و الحكما
ضيعتموهم إذا الأقوام غيركم
حازوا الفنون و فاقوا فى النهى أمما
غدا سئل كل عن رعيتـه
فمـا جوابكم يا معشر العلما ؟ !

(أحمد بن عبد القادر الكوكنى م١٣٢٠هـ)

فهرست الجزء الثالث

من القراءة الراشدة

الموضوعات بحسب الاغراض

الدروس الدينيـــة و الخلقيـــة

دروس من التاريخ الاسلامى

تلخيص التاريخ الاسلامى .

من النجوم إلى الأرض

تلخيص التاريخ الهندى الاسلامى

المنارة تتحدث

رجال التاريخ الاسلامى

الامام أبو حامد الغزالى
السلطان مظفر الحليم الكجراتى
شيخ الا سلام الحافظ ابن تيمية
عالمكير بن شاه جهان سلطان الهند
الشيخ نظام الدين اللكهنوى
الشيخ عبد العزيز الدهلوى

المعاهد الدينية

دروس الأشياء

شعر (حكمة وملح)